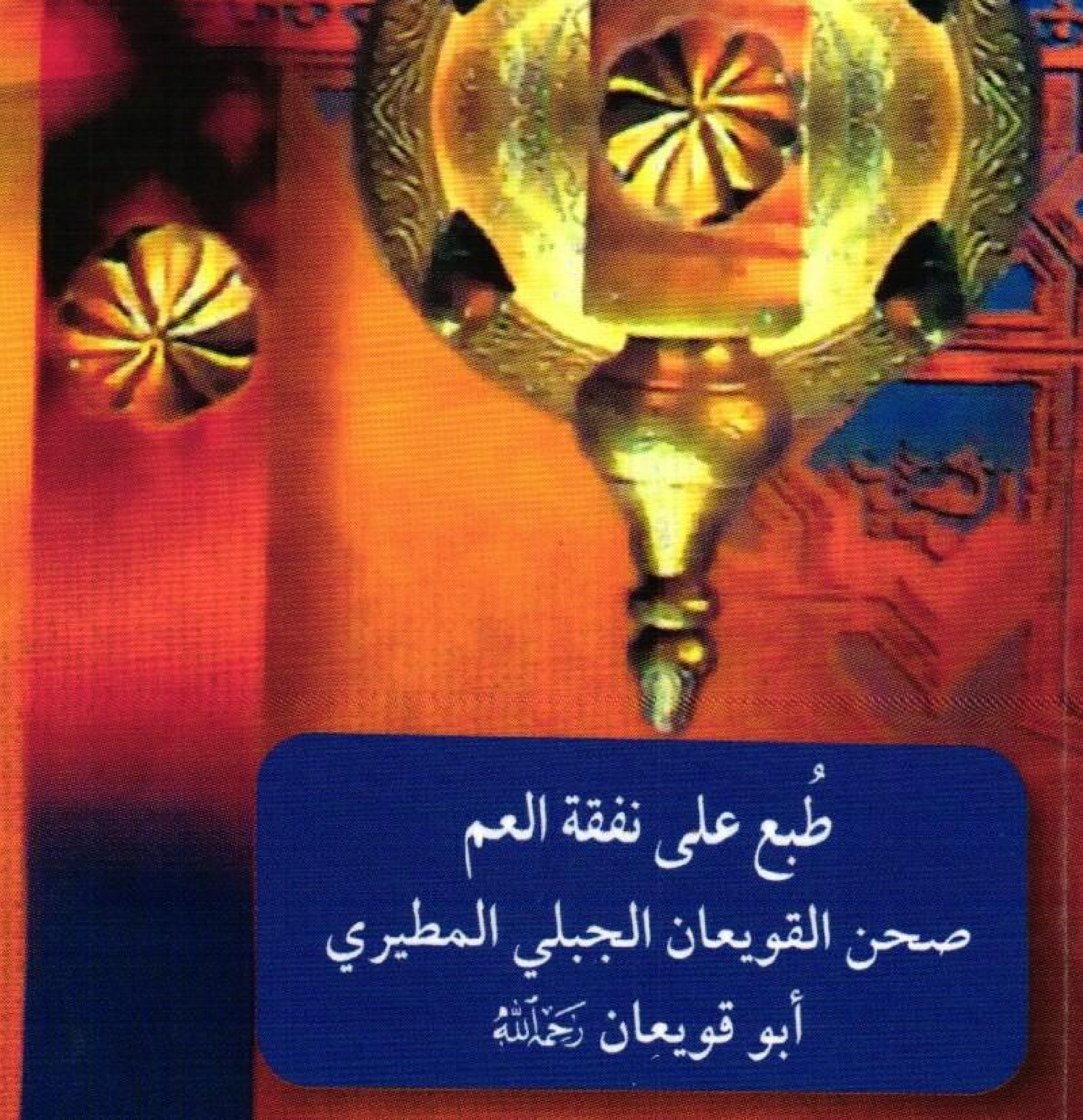
ما لا يسع المسلم جهله في العقيدة

إعداد

أ.د عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

عضو الإفتاء بالقصيم

والأستاذ بكلية التربية بالزلفي - جامعة المجمعة



دار إيلاف الدولية
للنشر والتوزيع

مَا لَا يَسَعُ المُسْلِمَ جَهْلُهُ

فِي العَقِيدَةِ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

العنوان: ما لا يسع المسلم جهله في العقيدة

تأليف: عبدالله بن محمد أحمد الطيار

الطبعة: الأولى 1441هـ - 2020م

رقم الإيداع: 7857/ 1441

ردمك: 1-3848-03-603-978

دار إيلاف الدولية

للنشر والتوزيع

فرع الجهراء: مجمع جديع حمد المخيال - الدور الأول - مقابل جمعية الجهراء التعاونية - نقال: ٩٦٩٩٩١٨٢ ٩٦٥+

هاتف: ٢٤٥٥٧٥٥٩ ٩٦٥+

فرع حولي: شارع المثنى - بجوار مجمع البدري

نقال: ٩٨٨٥٦٥٠٥ ٩٦٥+ - هاتف: ٢٢٦٤١٧٩٧ ٩٦٥+

(دار وقفيّة دعويّة)

المدير العام: د. فرحان بن عبيد الشمري

falaslmi@gmail.com

ما لا يسع المسلم جهله

في العقيدة

إعداد

أ. د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

عضو الإفتاء بالقصيم

والأستاذ بكلية التربية بالزلفي - جامعة المجمعة

دار إيلاف الدولية

للنشر والتوزيع



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران، الآية: ١٠٢]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء، الآية: ١]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب،الآيتان:٧٠،٧١]، وبعد:

فقد شرع الله عبادته وجعلها الغاية من خلق الخلق قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات، الآية: ٥٦]. وكان نداء كل نبي لقومه: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل، الآية: ٣٦]، ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف، الآية: ٦٥].

ومع هذه الأوامر الإلهية كم هم الذين يقصرون في فهم الإسلام ويأخذون به مبتوراً ولذا نرى كثرة الأخطاء والانحراف في باب العقائد وأمهات العبادات كالصلاة والزكاة والصيام والحج.

والأمة مطالبة بالرجوع إلى النبع الصافي والاطلاع على سيرة سلف الأمة لتتحقق القدوة الصادقة للمجتمع ولا نجاة ولا عز ولا فلاح إلا بالعبادة الحقة لله وفق ما شرعه سبحانه وكل عبادة تحيد عن المنهج الذي رسمه

رسول الله ﷺ فهي باطلة مردودة كما قال ﷺ: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)(١).

إن تصحيح هذا المفهوم الخاطئ وبيان حقيقة ما لا يصح المسلم جهله وخطورة ما وقع فيه البعض من الانحراف العقدي واجب شرعي على كل طالب علم قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ [آل عمران:١٨٧]، ولذا جاءت فكرة هذا الكتاب لتعالج مثل هذه القضايا بشيء من التيسير والتوضيح مبنية على الدليل الشرعي من الكتاب والسنة.

وكانت فكرة هذا الكتاب بطلب من رئيس اللجنة الثقافية لجمعية الآل والأصحاب في مملكة البحرين فضيلة الشيخ/ صلاح حيدر الكاظمي - حفظه الله - فقد رغب مشكوراً أن أضع كتاباً يعالج مثل هذه القضايا بأسلوب سهل واضح ليكون معيناً للمحتاجين ممن يجهلون بعض الأحكام مما يتعلق بأمور العقيدة.

ومع ذلك فإني أؤمل أن ينتفع منه الكثيرون، والله أسأل أن يعلمني ما جهلت، وأن يكتب الأجر والثواب لمن أشار وأعان وشجع، إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

وكتبه

أ. د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار
عضو الإفتاء بالقصيم
والأستاذ بكلية التربية بالزلفي - جامعة المجمعة

في يوم السبت الموافق ١/ ١/ ١٤٣٦هـ

---
(١) رواه البخاري برقم (٢٠٣٤)، وأخرجه مسلم برقم (١٧١٨).

المبحث الأول: توحيد الربوبية

أولاً : تعريفه:

أ- **لغة**: الربوبية مصدر من الفعل ربب، ومنه الربُّ، فالربوبية صفة الله، وهي مأخوذة من اسم الرب، والرب في كلام العرب يطلق على معان: منها المالك، والسيد المطاع، والمُصْلِح.

ب- **أما في الاصطلاح**: فإن توحيد الربوبية هو إفراد الله بأفعاله.

ومنها الخلق والرزق والسيادة والإنعام والملك والتصوير، والعطاء والمنع، والنفع والضر، والإحياء والإماتة، والتدبير المحكم، والقضاء والقدر، وغير ذلك من أفعاله التي لا شريك له فيها، ولهذا فإن الواجب على العبد أن يؤمن بذلك كله.

ثانيًا : أدلته :

وتوحيد الربوبية هو إفراد الله سبحانه بالملك والخلق والتدبير، فيؤمن العبد بأنه سبحانه الخالق الرازق، المحيي، المميت، النافع، الضار، المالك، المدبر، له الخلق والأمر كله، كما قال سبحانه: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وقال: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [النور:٤٢] لا شريك له في ذلك سبحانه ولا نظير.

وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقال: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١].

فقد بين الله تعالى ما عليه مشركي قريش من إثباتهم الربوبية لله ولكنهم مع ذلك أشركوا مع الله غيره في عبادته، ولهذا قال سبحانه: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦]، قال عكرمة: «من إيمانهم إذا قيل لهم: من خلق السماوات؟ قالوا: الله. وإذا سئلوا: من خلقهم؟ قالوا: الله. وهم يشركون به بعد».

عدم كفاية الإقرار بالربوبية للبراءة من الشرك.

ثالثًا : حقيقة توحيد الربوبية:

أ- إن توحيد الربوبية هو أحد أنواع التوحيد الثلاثة؛ ولذا فإنه لا يصح إيمان أحد، ولا يتحقق توحيده إلا إذا وحد الله في ربوبيته، لكن هذا النوع من التوحيد ليس هو الغاية من بعثة الرسل عليهم السلام، ولا ينجي وحده من عذاب الله ما لم يأت العبد بلازمه توحيد الألوهية.

ولذا يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦]، فلم يكن المشركون يعتقدون أن الأصنام هي التي تنزل الغيث وترزق العالم وتدبر شؤونه، بل كانوا يعتقدون أن ذلك من خصائص الرب سبحانه، ويقرون أن أوثانهم التي يدعون من دون الله مخلوقة لا تملك لأنفسها ولا لعابديها ضراً ولا نفعًا استقلالاً، ولا موتًا، ولا حياة، ولا نشوراً، ولا تسمع، ولا تبصر، ويقرون أن الله هو المتفرد بذلك لا شريك له، ليس إليهم ولا إلى أوثانهم شيء من ذلك، وأنه سبحانه الخالق وما عداه مخلوق، والرب وما عداه مربوب، غير أنهم جعلوا له من خلقه شركاء ووسائط، يشفعون لهم بزعمهم عند الله، ويقربونهم إليه زلفى؛ ولذا قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ .. ﴾ [الزمر: ٣]، أي ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمر الدنيا.

ومع هذا الإقرار العام من المشركين لله بالربوبية إلا أنه لم يدخلهم في الإسلام بل حكم الله فيهم بأنهم مشركون كافرون وتوعدهم بالنار والخلود فيها واستباح رسوله ﷺ دماءهم وأموالهم لكونهم لم يحققوا لازم توحيد الربوبية وهو توحيد الله في العبادة.

ب- أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده دون الإتيان بلازمه يعني (توحيد الألوهية) لا يكفي ولا ينجي من عذاب الله، بل هو حجة بالغة على الإنسان تقتضي إخلاص الدين لله وحده لا شريك له، وتستلزم إفراد الله وحده بالعبادة؛ فإذا لم يأت بذلك فهو كافر حلال الدم والمال.

ج - أن هذا التوحيد - أي توحيد الربوبية - لا يكفي العبد في حصول الإسلام بل لا بد أن يأتي مع ذلك بلازمه من توحيد الألوهية لأن الله تعالى حكى عن المشركين أنهم مقرون بهذا التوحيد لله وحده كما سبق.

رابعاً: مقتضيات الإقرار لله تعالى بالربوبية.

إذا أقر العبد لله تعالى بالربوبية، فإن إقراره هذا يقتضي أموراً لابد منها، فإن لم يلتزم هذه المقتضيات ما نفعه إقراره بالربوبية لله، فهذه المقتضيات هي:

الأول: ألا يعتقد العبد نفعاً ولا ضراً ولا حركة ولا سكوناً ولا بسطاً ولا خفضاً ولا رفعاً ولا إعطاء ولا منعاً ولا إحياءً ولا إماتةً ولا تدبيراً ولا تصريفاً إلا والله سبحانه وتعالى هو فاعله وخالقه لا يشركه في ذلك ولا يملك واحد منه شيئاً.

الثاني: أن يتوصل العبد بالإقرار بالربوبية إلى الإقرار بالألوهية فيجردها لله تعالى فلا يصرف أي نوع من أنواع العبادات لغير الله تبارك وتعالى.



المبحث الثاني: توحيد الألوهية

أولاً : تعريف توحيد الألوهية:

معنى توحيد الألوهية: هو إفراد الله بالعبادة هذا باعتبار إضافته إلى الله تعالى. ويسمى باعتبار إضافته إلى الخلق بـ"توحيد العبادة"، أو "توحيد الله بأفعال العباد"، أو "توحيد القصد"، أو "توحيد الإرادة والطلب"، لأنه مبني على إخلاص القصد في جميع العبادات، بإرادة وجه الله تعالى[١].

ثانيـاً: علاقة هذا النوع بالشهادتين :

فهذه الكلمة العظيمة (لا إله إلا الله) تشتمل على ركنين أساسين:

الأول: "النفي"، وهو نفي الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى، ويدل عليه كلمة: "لا إله" فهي تنفي أن يكون غير الله تعالى مستحقـاً للعبادة.

الثاني: "الإثبات"، وهو إثبات الإلهية لله تعالى، ويدل عليه كلمة "إلا الله" فهي تثبت أن الله تعالى هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

فهذا التوحيد - توحيد الألوهية - تشتمله وتدل عليه كلمة التوحيد: "لا إله إلا الله".

ومعنى شهادة "لا إله إلا الله" لا معبود بحق إلا الله تعالى.

أي أنه لا أحد يستحق أن يعبد إلا الله تعالى، فلا يجوز أن يدعى إلا الله تعالى، ولا يجوز أن يصلى أو ينذر أو يذبح إلا لله تعالى، وهكذا بقية أنواع العبادة، لا يستحق أحدٌ أن تصرف له سوى الله تعالى وهذا هو عين توحيد

---

(١) تسهيل العقيدة الإسلامية : عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين ص (٥٣).

الألوهية، فالله جل وعلا هو المستحق للعبادة وحده، لأنه الخالق، الرازق، المالك، المدبر لجميع الأمور، فيجب على جميع العباد أن يفردوه بالعبادة شكراً له على نعمه العظيمة عليهم.

ثالثًا : أهمية توحيد الألوهية:

توحيد الألوهية هو الذي من أجله خلق الله الجن والإنس، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦]، ومن أجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وهو أول دعوة الرسل وآخرها، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

ومن أجله قامت الخصومة بين الأنبياء وأممهم، وبين أتباع الأنبياء من أهل التوحيد وبين أهل الشرك وأهل البدع والخرافات، ومن أجله جردت سيوف الجهاد في سبيل الله، وهو أول الدين وآخره، بل هو حقيقة دين الإسلام، وهو يتضمن أنواع التوحيد.

فتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية ولتوحيد الأسماء والصفات، فإن من عبد الله تعالى وحده، وآمن بأنه المستحق وحده للعبادة، دل ذلك على أنه مؤمن بربوبيته وبأسمائه وصفاته، لأنه لم يفعل ذلك إلا لأنه يعتقد بأن الله تعالى وحده هو المتفضل عليه وعلى جميع عباده بالخلق والرزق والتدبير وغير ذلك من خصائص الربوبية، وأنه تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العُلا، التي تدل على أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

رابعـًا : فضائل توحيد الألوهية:

توحيد الله وإفراده بالعبادة أَجَلُّ النِّعم وأفضلها على الإطلاق، وفضائله وثمراته لا تعد ولا تحد، ففضائل التوحيد، كثيرة تنتظم خيري الدنيا والآخرة، ومن تلك الفضائل ما يلي:

١- أنه أعظم نعمة أنعمها الله على عباده، حيث هداهم إليه، كما جاء في سورة النحل حيث قدم الله عز وجل نعمة التوحيد على كل نعمة، فقال سبحانه: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النحل:٢].

٢- أنه الغاية من خلق الجن والإنس، قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦].

٣- أنه الغاية من إنزال الكتب ومنها القرآن، قال تعالى فيه: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ [هود:٢،١].

٤- أنه السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة، ودفع عقوبتهما.

٥- أنه يمنع من الخلود في النار، إذا كان في القلب منه أدنى مثقال حبة خردل.

٦- أنه إذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية كما في حديث عتبان قال ﷺ (فإن الله حَرَّم على النَّار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وَجْهَ الله)[1].

٧- حصول الاهتداء الكامل، والأمن التام لأهله في الدنيا والآخرة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام:٨٢].

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق: باب العمل الذي يُبتغى به وجه الله، رقم (٦٤٢٣)، ومسلم في الكتاب والباب السابقين، رقم (٣٣).

٨- أنه السبب الأعظم لنيل رضا الله وثوابه.

٩- أن أسعد الناس بشفاعة محمد ﷺ من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه[١].

١٠- أن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها وفي ترتيب الثواب عليها على التوحيد، فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت.

١١- أنه يسهل على العبد فعل الخيرات، وترك المنكرات، ويسليه عن المصيبات؛ فالمخلص لله في إيمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات؛ لما يرجوه من ثواب ربه ورضوانه، ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي؛ لما يخشى من سخطه وأليم عقابه.

١٢- أن التوحيد إذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الإيمان، وزيّنه في قلبه، وكره إليه الكفر، والفسوق والعصيان، وجعله من الراشدين.

١٣- أنه يخفف على العبد المكاره، ويهون عليه الآلام؛ فبحسب تكميل العبد للتوحيد والإيمان يتلقى المكاره والآلام بقلب منشرح، ونفس مطمئنة، وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمة.

١٤- أنه يحرر العبد من رق المخلوقين، ومن التعلق بهم، وخوفهم، ورجائهم، والعمل لأجلهم. وهذا هو العز الحقيقي، والشرف العالي، فيكون بذلك متألهاً متعبداً لله، فلا يرجو سواه، ولا يخشى غيره، ولا ينيب إلا إليه، ولا يتوكل إلا عليه، وبذلك يتم فلاحه ويتحقق نجاحه.

١٥- ومن فضائله التي لا يلحقه فيها شيء أن التوحيد إذا تم وكمل في القلب، وتحقق تحققاً كاملاً بالإخلاص التام فإنه يُصَيِّر القليل من العمل كثيراً، وتضاعف أجور صاحبه بغير حصر ولا حساب.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار (٦٥٧٠).

١٦- أن الله تكفل لأهله بالفتح والنصر، والعز والشرف، وحصول الهداية، والتيسير لليسرى، وإصلاح الأحوال، والتسديد في الأقوال والأفعال.

١٧- أن الله يدافع عن الموحدين شرور الدنيا والآخرة، ويمن عليهم بالحياة الطيبة، والطمأنينة إليه وبذكره. وشواهد ذلك من الكتاب والسنة كثيرة، فمن حقق التوحيد حصلت له هذه الفضائل كلها وأكثر منها، والعكس بالعكس[١].

خامسًا : العلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية:

تبرز العلاقة بين توحيد المعرفة والإثبات وتوحيد القصد والطلب في النقاط التالية:

١- توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية؛ بمعنى أن الإقرار بتوحيد الربوبية يوجب الإقرار بتوحيد الألوهية ؛ فمن عرف أن الله ربه وخالقه ومدبر أموره، وقد دعاه هذا الخالق إلى عبادته وجب عليه أن يعبده وحده لا شريك له؛ فإذا كان هو الخالق الرازق النافع الضار وحده لزم إفراده بالعبادة.

٢- توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية بمعنى أن توحيد الربوبية يدخل ضمناً في توحيد الألوهية، فمن عَبَدَ الله وحده لا شريك له فلابد أن يكون معتقداً أنه ربه وخالقه ورازقه؛ إذ لا يعبد إلا من بيده النفع والضر، وله الخلق والأمر.

٣- توحيد الربوبية عمل قلبي لا يتعدى القلب، ولذا سمي توحيد المعرفة والإثبات، أو التوحيد العلمي. أما الألوهية فهو عمل قلبي وبدني، فلا

---

(١) انظر تيسير العزيز الحميد ص (٣٦ : ٣٩)، والقول السديد لابن السعدي، ص(١٦)، ومعارج القبول (١/ ٢٦٨ : ٢٧١).

يكفي فيه عمل القلب، بل يتعداه إلى السلوك والعمل قصداً لله وحده لا شريك له.

٤- أن توحيد الربوبية لا يكفي وحده في دخول الإسلام؛ وذلك لأنه مركوز في الفطر، فلو كان كافياً لما احتاج الناس إلى بعثة الرسل، وإنزال الكتب، فلا يكفي أن يقر الإنسان بما يستحق الرب تعالى من الصفات، وأنه الرب الخالق وحده. ولا يكون موحداً إلا إذا شهد أن لا إله إلا الله، فيقر بأن الله هو المألوه المعبود وحده، ويعبده بمقتضى هذه المعرفة.

٥- توحيد الألوهية هو الذي جاءت به الرسل، وهو الذي حصل به النزاع بين الرسل عليهم السلام وبين أممهم، كما قال قوم هود لنبيهم هود عليه السلام عندما قال لهم: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٦٥]، ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف :٧٠].

وكما قال كفار قريش لما أُمِروا بإفراد الله بالعبادة {أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص:٥]. أما توحيد الربوبية فإنهم لم ينكروه، بل إن إبليس لم ينكره ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى ..﴾ [الحِجر:٣٩].

٦- أنهما إذا اجتمعا افترقا، وإذا فترقا اجتمعا، ومعنى ذلك أنهما إذا ذكرا جميعاً فلكل لفظ ما يراد به، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١، ٢، ٣].

فيكون معنى الرب هو المالك المتصرف، وهذا توحيد الربوبية، ويكون معنى الإله المعبود بحق المستحق للعبادة دون سواه وهذا توحيد الألوهية.

وتارة يذكر أحدهما مفرداً عن الآخر فيجتمعان في المعنى؛ كما في قول الملكين للميت في القبر "من ربك؟ ومعناه من إلهك؟"، وكما في قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ .. ﴾ [الحج:٤٠]، وقوله سبحانه: ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبًّا .. ﴾ [الأنعام:١٦٤]، وقوله سبحانه عن الخليل عليه السلام: ﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. وكما في قوله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل:٦٢][١].

سادسًا: ما يضاد توحيد الألوهية:

ما يضاد توحيد الألوهية قسمان:

الأول : ما يضاد أصله.

الثاني: ما يقدح في توحيد الألوهية.

القسم الأول: ما يضاد أصله، وهو الشرك الأكبر الذي إذا أتى به المكلف فإنه ينقض توحيده، ويكون مشركا شركا أكبر مخرجا من الملة، فمثل هذا يقال فيه: إنه قد أتى بما ينافي التوحيد، أو ينافي أصل التوحيد.

ومن أمثلة ما يضاد أصل توحيد الألوهية ما يأتي :

١ - دعاء غير الله.

الدعاء عبودية عظيمة، وهو من أعظم الأسباب وأقواها لجلب النفع ودفع الضر، وهو علامة على افتقار العبد لربه واحتياجه له؛ وإذا كان الدعاء عبادة من أجل العبادات وأعظمها فصرفه لغير الله شرك.

ومعنى الدعاء: استدعاء العبد ربه عز وجل العناية، واستمداده إياه المعونة. وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة. وهو سمة

(١) انظر الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد - فضيلة الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله آل فوزان ص (٢١ : ٢٣)، ومباحث في العقيدة للمؤلف (١/ ٧٢-٧٣).

العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله ﷻ وإضافة الجود والكرم إليه"[١].

وبالرغم من عِظم مكانة الدعاء بين سائر العبادات؛ إلا أنه من أكثر العبادات التي شرّك الناس فيها بين الله وبين خلقه، فإنك تجد - مع الأسف الشديد - كثيراً ممن ينتسب إلى الإسلام قد وقعوا في دعاء غير الله والاستغاثة بهم، سواءً كانوا من الأنبياء أو الصالحين، كمن يقول يا نبي الله، أو يا علي، أو يا حسين، أو يا عبد القادر الجيلاني، أو يا بدوي، أشكو إليك ذنوبي، أو نقص رزقي، أو تسلط العدو علي، أو أشكو إليك فلاناً الذي ظلمني، أو يقول أنا نزيلك، أنا ضيفك، أنا جارك، أو أنت تجير من يستجير، أو أنت خير معاذ يستعاذ به، أو ارزقني الولد، أو قول القائل إذا عثر: يا جاه محمد، يا ست نفيسة، أو يا سيدي الشيخ فلان، ونحو ذلك من الأقوال الشركية التي فيها دعاء وتعلق بغير الله، فهذا شرك أكبر؛ لأنه دعا غير الله، ودعاء غير الله من الشرك الأكبر، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن:١٨]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس:١٠٦].

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: (الدُّعَاءَ هُوَ العِبَادَةُ)[٢].

---

(١) شأن الدعاء للخطابي : ص (٤).

(٢) رواه: أحمد في «المسند» (٤/ ٢٦٧) والترمذي (الدعوات، باب الدعاء مخ العبادة، ٩/ ٩٢)- وقال: «حديث حسن صحيح»-، وأبو داود (كتاب الصلاة، باب الدعاء، ٢/ ١٦١)، وابن ماجه (كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، ٢/ ١٢٥٨) والحاكم (١/ ٤٩٠)- وصححه ووافقه الذهبي-، والطبراني في «الصغير» (٢/ ٩٧). وقال ابن حجر في «الفتح» (١/ ٤٩): «إسناده جيد».

ومن أمثلة الشرك في الدعاء ما يلي:

أ- أن يطلب من المخلوق ما لا يقدر عليه إلا الخالق: سواء أكان هذا المخلوق حياً أم ميتاً، نبياً أم ولياً أم ملكاً أم جنياً أم غيرهم، كأن يطلب منه شفاء مريضه أو نصره على الأعداء، أو كشف كربة، أو أن يغيثه، أو أن يعيذه، وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله، فهذا كله شرك أكبر، مخرج من الملة بإجماع المسلمين؛ لأنه دعا غير الله، واستغاث به، واستعاذ به، وهذا كله عبادة لا يجوز أن تصرف لغير الله بإجماع المسلمين، وصرفها لغيره شرك، ولأنه اعتقد في هذا المخلوق مالا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى.

ب- دعاء الميت والغائب: فمن دعا غائباً وهو بعيد أو دعا ميتاً عند قبره، وهو يعتقد أن هذا المدعو يسمع كلامه أو يعلم بحاله فقد وقع في الشرك الأكبر، سواء أكان هذا المدعو نبياً أم ولياً، أم عبداً صالحاً أم غيرهم، وسواء طلب من هذا المدعو ما لا يقدر عليه إلا الله أم طلب منه أن يدعو الله تعالى له، ويشفع له عنده، فهذا كله شرك بالله تعالى مخرج من الملة؛ لما فيه من دعاء غير الله، ولما فيه من اعتقاد أن المخلوق يعلم الغيب، ولما فيه من اعتقاد إحاطة سمعه بالأصوات، وهذا كله من صفات الله تعالى التي اختص بها، فاعتقاد وجودها في غيره شرك مخرج من الملة.

ج- أن يجعل بينه وبين الله تعالى واسطة في الدعاء: ويعتقد أن الله تعالى لا يجيب دعاء من دعاه مباشرة، بل لا بد من واسطة بين الخلق وبين الله في الدعاء، فهذه شفاعة شركية مخرجة من الملة. وهذا هو أصل شرك العرب، فهم كانوا يزعمون أن الأصنام تماثيل لقوم صالحين، فيتقربون إليهم طالبين منهم الشفاعة، كما قال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزُّمَر:٣][1].

---

(١) انظر: كتاب مباحث في العقيدة للمؤلف، ص (١٣٢)، تسهيل العقيدة الإسلامية، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، ص (١٦٤ : ١٦٧).

٢ - **الذبح لغير الله**: من صور الشرك الأكبر الذبح لغير الله: والذبح والنحر من أعظم العبادات والقربات، فوجب أن لا تُصرف إلا لله خالصة له من غير شركٍ، قال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر:٢]، وقال جل شأنه: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢].

فمن ذبح لغير الله تعالى كمن ذبح للصنم أو للجن أو للقبر أو للكعبة أو لشجر أو حجر أو مكانٍ، أو ذبح عند قدوم السلطان إلى بلد. وكان ذبحه تقرباً وتعظيماً له، فهذا شركٌ وكفر بالله العظيم، وذبيحته حرام لا تحل سواء كان الذابح مسلماً أو يهودياً أو نصرانياً، وإن كان الذابح مسلماً قبل ذلك صار بالذبح مرتداً عن الإسلام، لأنه صرف عبادةً من أعظم العبادات لغير الله كمن سجد لغير الله.

والذبح لغير الله ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: أن يكون الذبح لغير الله فرحاً أو إكراماً للضيف كمن يذبح لقدوم سلطان أو أمير إكراماً وضيافة لهما، فهذا من باب الإكرام، وليس بشرك، فهذا لا حرج فيه بل هو من الأمور المعتادة التي قد تكون مطلوبة تارة وغير مطلوبة تارة أخرى، فالأصل أنها مباحة.

القسم الثاني: أن يكون الذبح تعظيماً وتقرباً لغير الله، وإن ذُكر اسم الله ابتداء قبل الذبح، كمن يذبح للأنبياء والرسل والأولياء، وكمن يذبح للجن أو للقبر أو للكعبة أو لشجرٍ أو حجرٍ أو مكانٍ مثل ما يُذبح عند نزول البيوت خوفاً من الجن أن تصيبه، كل هذا يَدخل في الذبح لغير الله، وهو من الشرك الأكبر المخرج من ملة الإسلام، وذبيحته محرمة لا يجوز أكلها.

٣ - **النذر لغير الله**: النذر عبادة من العبادات، لا يجوز أن يصرف لغير الله تعالى، قال الله تعالى في وصفه لعباده الأبرار: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ

﴿مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان:٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [البقرة:٢٧٠]. فدل على أن النذر عبادة؛ لأن الله يحب الوفاء به ويجازي بالنذر، وصرفه لغير الله شرك أكبر.

فمن نذر لمخلوق كأن يقول: لفلان علي نذر أن أصوم يومـًا، أو لقبر فلان علي أن أتصدق بكذا، أو إن شفي مريضي أو جاء غائبي للشيخ فلان علي أن أتصدق بكذا، أو لقبره علي أن أتصدق بكذا، فقد أجمع أهل العلم على أن نذره محرم وباطل، وعلى أن من فعل ذلك قد أشرك بالله تعالى الشرك الأكبر المخرج من الملة، لأنه صرف عبادة النذر لغير الله، ولأنه يعتقد أن الميت ينفع ويضر من دون الله، وهذا كله شرك.

ومن القضايا المعاصرة في النذر لغير الله ما يُسمى بصندوق النذور الموجود عند القبور المعظمة، فإذا نذر نذرًا لصاحب القبر جعله في ذلك الصندوق وهذا من الشرك الأكبر.

القسم الثاني: ما يقدح في توحيد الألوهية وهي الأمور التي تنافي كمال التوحيد ولا تنقضه بالكلية، فإذا وجدت عند المسلم قدحت في توحيده ونقص إيمانه، ولم يخرج من دين الإسلام، وهي المعاصي التي لا تصل إلى درجة الشرك الأكبر أو الكفر الأكبر أو النفاق الأكبر، وعلى رأسها: وسائل الشرك الأكبر، والشرك الأصغر، والكفر الأصغر، والنفاق الأصغر، والبدعة.

أ- ذكر بعض الأمثلة على القسم الأول:

ما يقدح في توحيد الألوهية :

ذكرنا فيما سبق أن هناك ما يقدح في توحيد الألوهية وهي الأمور التي تنافي كمال التوحيد ولا تنقضه بالكلية، فإذا وجدت عند المسلم قدحت في توحيده

ونقص إيمانه، ولم يخرج من دين الإسلام، وهي المعاصي التي لا تصل إلى درجة الشرك الأكبر أو الكفر الأكبر أو النفاق الأكبر، وعلى رأسها: وسائل الشرك الأكبر، والشرك الأصغر، والكفر الأصغر، والنفاق الأصغر، والبدعة، والرياء وغير ذلك.

أولاً : الشرك الصغر :

أ - **تعريف الشرك الأصغر**: هو كل ما كان فيه نوع شرك لكنه لم يصل إلى درجة الشرك الأكبر، أو هو كل قول أو عمل بالقلب أو الجوارح جعل العبد فيه نوع شرك لله تعالى ولم يصل إلى إخراج صاحبه من الملة. أو هو جميع الأقوال والأفعال التي توصل إلى الشرك الأكبر.

ب - **حُكمه**: الشرك الأصغر كبيرة من كبائر الذنوب، بل هو أكبر الذنوب بعد الشرك الأكبر، والدليل على ذلك قوله ﷺ لما رأى في يد رجل حلقة من صفر قال: (وَيْحَكَ مَا هَذِه؟) قَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ؟ قَالَ: (أَمَا إِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا انبِذْهَا عَنْكَ؛ فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا)[١].

ويؤيده قول ابن مسعود رضي الله عنه: "لَأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ وَأَنَا صَادِقٌ"[٢].

فجعل الحلف بالله كاذبًا الذي هو من كبائر الذنوب أخف من الحلف بغيره صادقًا؛ لأنه من الشرك الأصغر.

---

(١) رواه الإمام أحمد (٤/ ٤٤٥) واللفظ له، وابن ماجة (كتاب الطب، باب تعليق التمائم) وليس فيه : (فإنك لو مت ...) إلخ. وفي (الزوائد) : (إسناده حسن). ورواه ابن حبان أيضاً (١٤١٠) بلفظ (إنك إن نمت وهي عليك وكلت إليها). ومن طريق أبي عامر الخراز عن الحسن عن عمران بنحوه، رواه ابن حبان (١٤١١) والحاكم (٤/ ٢١٦)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٨/ ٤٦٩)، والطبراني في «الكبير» (٨٩٠٢). قال المنذري في «الترغيب» (٣/ ٦٠٧) والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٧٧): «ورواته رواة الصحيح».

ج - صور من الشرك الأصغر :

١ - **الحلف بغير الله**: الحلف عبادة من العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله، فيحرم الحلف بغيره تعالى؛ لقوله ﷺ : (أَلا إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ وَإِلَّا فَلْيَصْمُتْ - أَوْ لِيَصْمُتْ)(١).

فمن حلف بغير الله سواء أكان نبيًّا أم وليًّا أم الكعبة، أم الملائكة، أم الأمانة، أم روح فلان، أم تربة فلان، أم حياة فلان أو غير ذلك؛ فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب ووقع في الشرك؛ لقوله ﷺ: "مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ"(٢).

ولأن الحلف فيه تعظيم للمحلوف به، فمن حلف بغير الله كائنًا من كان؛ فقد جعله شريكًا لله عز وجل في هذا التعظيم الذي لا يليق إلا به سبحانه وتعالى، وهذا من الشرك الأصغر إن كان الحالف إنما أشرك في لفظ القسم لا غيرُ، أما إنا كان الحالف قد قصد بحلفه تعظيم المخلوق الذي حلف به كتعظيم الله تعالى، كما يفعله كثيرٌ من المتصوفة الذين يحلفون بالأولياء والمشايخ أحياءً وأمواتًا، حتى ربما بلغ تعظيمهم في قلوبهم أنهم لا يحلفون بهم كاذبين مع أنهم يحلفون بالله وهم كاذبون، فهذا شرك أكبر مخرج من الملة؛ لأن المحلوف به عندهم أجلّ وأعظم وأخوف من الله تعالى.

٢ - **الاستسقاء بالأنواء.**

الاستسقاء بالأنواء هو أن يُطلب من النجم أن يُنزل الغيث، ويدخل فيه أن يُنسب الغيث إلى النجم، كما كان أهل الجاهلية يزعمون، فكانوا إذا نزل مطر

(١) رواه البخاري في كتاب الشهادات، باب كيف يستحلف؟ (٢٦٧٩)، ومسلم في النذر، باب النهي عن الحلف بغير الله (١٦٤٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه: أبو داود، كتاب الأيمان، باب في كراهية الحلف بالآباء، (٣/ ٥٧٠)- وسكت عنه-، والترمذي (النذور، باب كراهية الحلف بغير الله تعالى، رقم (١٥٣٥)- وحسنه-، والطيالسي(رقم ١٨٩٦)، وابن حبان(رقم ١١٧٧)، والحاكم (١/ ١٨، ٤/ ٢٩٧) وصححه على شرطهما، وأقره الذهبي-، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٤، ٦٩).

في وقت نجم معين نسبوا المطر إلى ذلك النجم، فيقولون هذا مطر الوسمي، أو هذا مطر الثريا، ويزعمون أن النجم هو الذي أنزل هذا الغيث.

الاستسقاء بالأنواء ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: أن ينسب المطر إلى النجم معتقدًا أنه هو المنزل للغيث بدون مشيئة الله وفعله جلَّ وعلا، فهذا شرك أكبر بالإجماع.

القسم الثاني: أن ينسب المطر إلى النوء معتقدًا أن الله جعل هذا النجم سببًا في نزول هذا الغيث، فهذا من الشرك الأصغر؛ لأنه جعل ما ليس بسبب سببًا، فالله تعالى لم يجعل شيئًا من النجوم سببًا في نزول الأمطار، ولا صلة للنجوم بنزولها بأيّ وجه، وإنما أجرى الله العادة بنزول بعض الأمطار في وقت بعض النجوم.

وقد وردت أدلة كثيرة تدل على تحريم الاستسقاء بالأنواء، ومنها:

١ - عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال مُطر الناس على عهد رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: (أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ)، قَالُوا: هَذِه رَحْمَةُ الله، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِه الْآيَةُ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة:٧٥]، حَتَّى بَلَغَ: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨٢][1].

ومعنى الآية الأخيرة أنكم تجعلون شكر ما أنعم الله به عليكم من الغيث أنكم تكذبون بذلك، وذلك بنسبة إنزال الغيث إلى غير الله تعالى.

٢ - عن زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "صَلَّى لَنَا رَسُولُ الله ﷺ صَلاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: (هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟) قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ،

---

(١) رواه مسلم في الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء (١٢٧).

قَالَ: (أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ)[1].

٣ - عن أبي مالك الأشعري مرفوعًا: (أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ)، وَقَالَ: (النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ)[2].

وإذا قال المسلم (مُطرنا بنوء كذا وكذا) ومقصده أن الله أنزل المطر في وقت هذا النجم، على أن الباء تأتي للظرفية على معنى (في)، معتقدًا أنه ليس للنجم أدنى تأثير لا استقلالاً ولا تسببًا، فقد اختلف أهل العلم في حكم هذا اللفظ، فقيل هو محرم، وقيل مكروه، ولا شك أن هذا اللفظ ينبغي تركه، واستبداله بالألفاظ الأخرى التي لا إيهام فيها، فإما أن يقول (مطرنا بفضل الله ورحمته)، فهذا هو الذي ورد الثناء على من قاله، كما سبق في الحديث القدسي، فهو أولى من غيره، وإما أن يقول (هذا مطر أنزله الله في وقت نجم كذا)، أو يقول (مطرنا في نوء كذا)، ونحو ذلك من العبارات الصريحة التي لا لبس ولا إشكال فيها، فقول "مطرنا بنوء كذا" أقل أحواله الكراهة الشديدة، والقول بالتحريم قول قوي، لما يلي أنه قد جاء الحديث القدسي مطلقًا بعيب قائلي هذا اللفظ، وباعتبار قولهم كفرًا بالله تعالى، وإيمانًا بالكوكب أن هذا القول ذريعة إلى الوقوع في الاعتقاد الشركي، فاعتياد الناس عليه في عصر قد يؤدي بجهلهم أو بمن يأتي بعدهم إلى الوقوع في الاستسقاء الشركي بالأنواء أنه لفظ موهم لاعتقاد فاسد أن فيه استبدالاً للفظ المندوب إليه شرعًا في هذه

---

(١) رواه البخاري: الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم (٨٤٦)، ومسلم: الإيمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء (٧١).

(٢) رواه مسلم في كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، (٩٣٤)

الحال، وهو قول (مطرنا بفضل الله ورحمته) بلفظ من ألفاظ المشركين، ففي هذا ترك السنة وتشبه بالمشركين، وقد نهينا عن التشبه بهم

٣ - **التسمي بالأسماء التي فيها تعظيم لا يليق إلا بالله تعالى**: كالتسمي بملك الملوك، وقاضي القضاة ونحوها، فعن أبي هريرة مرفوعًا (أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَخْبَثُهُ وَأَغْيَظُهُ عَلَيْهِ، رَجُلٍ كَانَ يُسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ، لَا مَلِكَ إِلَّا اللهُ)[1].

٤ - **التسمي بأسماء فيها تعبيد لغير الله تعالى**: كعبد الرسول وعبد النبي وعبد الحسين، ولهذا غيّر النبي ﷺ أسماء من أسلم من الصحابة وكان اسمه معبدًا لغير الله تعالى.

٥ - **سب الدهر**: فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: (يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)[2].

فالله هو الفاعل حقيقة، فمن سب الدهر فقد سب الله، وسب الدهر يكون من الشرك الأصغر في حق من سب الدهر وهو يعتقد عدم تأثيره، فالشرك من أجل اللفظ الذي فيه نوع تشريك بين الله وبين الدهر في الفعل والتأثير، أما إن كان الساب للدهر يعتقد ما يعتقده أهل الجاهلية من تأثير الدهر وفعله من دون الله، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

٦ - **الرياء**: فالرياء من أفراد الشرك الأصغر أعني: يسير الرياء، وهو ينافي كمال التوحيد.

---

(١) رواه مسلم في الآداب، باب تحريم التسمي بملك الأملاك (٢١٤٣).

(٢) رواه البخاري في كتاب التوحيد باب بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥] (٧٤٩١)، ومسلم في الألفاظ من الأدب وغيرها باب النهي عن سب الدهر رقم (٢٢٤٦).

والرياء هو أن يظهر الإنسان العمل الصالح للآخرين أو يحسنه عندهم، أو يَظهر عندهم بمظهر مندوب إليه ليمدحوه ويعظم في أنفسهم.

فمن أراد وجه الله والرياء معاً فقد أشرك مع الله غيره في هذه العبادة، أما لو عمل العبادة وليس له مقصد في فعلها أصلاً سوى مدح الناس فهذا صاحبه على خطر عظيم، وقد قال بعض أهل العلم: إنه قد وقع في النفاق والشرك المخرج من الملة.

وقد وردت أدلة كثيرة تدل على تحريم الرياء وعظم عقوبة فاعله، وأنه يبطل العمل الذي يصاحبه، منها حديث محمود بن لبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: (إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ)، قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: (الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً)[١].

وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: (إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٤٢٨). قال ابن حجر في «بلوغ المرام» (ص ٣٠٢): «أخرجه أحمد بإسناد حسن»، وقال المنذري في «الترغيب» (١/ ٦٩): «إسناده جيد»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٢٢): «رجاله رجال الصحيح; غير عبد الله بن شبيب بن خالد، وهو ثقة».

تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ)(١).

سابعًا: الوسائل الموصلة للشرك الأكبر:

لما كان الشرك الأكبر أعظم ذنب عُصي اللهُ به؛ حرَّم الله ورسوله ﷺ كل قول أو فعل يؤدي إليه، أو يكون سببًا في وقوع المسلم فيه.

وأهم الوسائل الموصلة للشرك الأكبر أربعة هي:

١ - **الغلو في الصالحين**: لقد حذر النبي ﷺ من الغلو على وجه العموم، فقال ﷺ: (إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو)(٢).

وثبت أن الغلو في الصالحين كان هو أول وأعظم سبب أوقع بني آدم في الشرك الأكبر، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أخبر عن أصنام قوم نوح أنها صارت في العرب، ثم قال: "أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك، ونُسخ العلم، عُبدت"(٣).

---

(١) رواه مسلم كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار برقم (٣٥٢٧).

(٢) رواه: أحمد في «المسند» (١/ ٢١٥، ٣٤٧)، والنسائي في «الصغرى» (كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى، ٥/ ٢٦٨)، وابن ماجه (كتاب المناسك، باب، قدر الحصى، ٢/ ١٠٠٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٩٨)، وابن حبان برقم (١٠١١)، والطبراني في «الكبير» برقم (١٢٧٤٧)، والحاكم (١/ ٤٦٦) - وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي-، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ١٢٧). وقال النووي في «المجموع» (٨/ ١٣٧): «إسناده صحيح على شرط مسلم»، وكذا قال شيخ الإسلام في «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص ١٠٦).

(٣) رواه البخاري كتاب التفسير، باب ودا ولا سواعا ولا يغوث (٣/ ٣١٦).

ومن صور الغلو المحرم في حق الصالحين والذي يوصل إلى الشرك:

المبالغة في مدحهم، وذلك باعتقاد أن بعض الأولياء يتصرفون في الكون، وأنهم يسمعون كلام من دعاهم ولو من بعد، وأنهم يجيبون دعاءه، وأنهم ينفعون ويضرون، وأنهم يعلمون الغيب.

وقد أدى هذا الغلو إلى الشرك في الألوهية، كما في دعاء الأموات من دون الله، والاستغاثة بهم، وهذا من أعظم الشرك.

٢ - **تصوير الأولياء والصالحين**: التصوير معناه: نقل شكل وهيئته بواسطة الرسم أو الالتقاط بالآلة أو النحت، وإثبات هذا الشكل على لوحة أو ورقة أو تمثال.

وكان العلماء يتعرضون للتصوير في مواضيع العقيدة؛ لأن التصوير وسيلة من وسائل الشرك وادعاء المشاركة لله بالخلق أو المحاولة لذلك. وأول شرك حدث في الأرض كان بسبب التصوير، حينما أقدم قوم نوح على تصوير الصالحين ونصب صورهم على المجالس. لأجل تذكر أحوالهم، والاقتداء بهم في العبادة، حتى آل الأمر إلى عبادة تلك الصور، واعتقاد أنها تنفع وتضر من دون الله.

ولذلك وردت نصوص شرعية فيها تغليظ على المصورين، ومن ذلك:

قوله ﷺ: (إنّ أشدَّ الناس عذاباً يوم القيامة المصورون)[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة صورها نفساً فتعذبه في جهنم)[٢].

---

(١) رواه البخاري في كتاب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة، برقم ٥٩٥٠، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، برقم ٢١٠٩.

(٢) رواه مسلم في كتاب اللباس والزينة (٢١١٠).

فالتصوير هو منشأ الوثنية؛ لأن تصوير المخلوق تعظيم له، وتعلق به في الغالب، خصوصاً إذا كان المصوّر له شأن من سلطة أو علم أو صلاح، وخصوصاً إذا عُظمت الصورة بنصبها على حائط.

٣ - **التبرك بالصالحين**: ومما هو وسيلة لحصول الشرك الأكبر التبرك بالأولياء والصالحين كالتبرك بذواتهم، أو بعرقهم، أو بسؤرهم أو بلعابهم الذي اختلط بالنوى مثلا، أو بما فضل من طعامهم، ونحو ذلك، فهذا لا يجوز لأنه وسيلة لحصول الشرك الأكبر من دعاء غير الله والاستغاثة بهم والطواف على قبورهم وغير ذلك من أنواع الشرك الأكبر.

٤ - **اتخاذ القبور مساجد**: فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال عند موته: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا»[١].

وعن جندب بن عبد الله أن النبي ﷺ قال قبل أن يموت بخمس: (إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك)[٢]، واتخاذ المكان مسجداً هو أن يتخذ للصلوات الخمس وغيرها، كما تبنى المساجد لذلك، فحرمه ﷺ وإن كان القاصد لذلك إنما يقصد عبادة الله وحده، لأن ذلك وسيلة إلى الشرك، فقد يفضي إلى دعاء صاحب القبر وعبادته.

---

(١) رواه: البخاري (كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، ١/ ٤٠٨)، ومسلم (كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، ١/ ٣٧٦).
(٢) رواه: مسلم (كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، ١/ ٣٧٧).

ثامنًا : الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر:

١- الشرك الأكبر يخرج صاحبه من الإسلام بخلاف الشرك الأصغر.

٢- الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال أما الشرك الأصغر فهو يحبط العمل الذي خالطه فقط.

٣- الشرك الأكبر يبيح الدم والمال بخلاف الشرك الأصغر.

٤- الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار أما الشرك الأصغر فقد يدخل صاحبه في النار ولا يخلد فيها.

٥- الشرك الأكبر يوجب المعاداة وقطع الموالاة فلا تجوز موالاة المشرك مهما كانت قرابته، أما الشرك الأصغر فلا يقطع الموالاة لكن يوالى بقدر ما عنده من التوحيد ويعادى بحسب ما فيه من الشرك الأصغر.



﴿المبحث الثالث: الأسماء والصفات﴾

أولاً: مفهوم توحيد الأسماء والصفات:

هو إفراد الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى الواردة في القرآن والسنة، والإيمان بمعانيها وأحكامها، وأن الله تعالى متصف بجميع صفات الكمال، ومنزه عن جميع صفات النقص، متفرد بذلك عن جميع الكائنات.

هذا هو مفهوم توحيد الأسماء والصفات بخلاف ما عليه أهل البدع والأهواء.

فنحسن نؤمن بصفاته سبحانه الواردة في القرآن والسنة، ونصفه بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ ولا نحرف الكلم عن مواضعه، ولا نلحد في أسمائه وآياته، بل نثبت لله ما أثبته لنفسه من غير تمثيل، ولا تكييف ولا تعطيل، ولا تحريف، والقاعدة في كل ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ثانياً: الأدلة على توحيد الأسماء والصفات:

الأدلة على توحيد الأسماء والصفات في الكتاب والسنة كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠].وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨]، وقوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ

سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٢- ٢٤].

ومن دلالة السنة على توحيد الأسماء والصفات.

حديث أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)[1].

وحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: (أَسأَلُكَ بِكُلِّ اسمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي..»[2] الحديث.

والنصوص في تقرير هذا الباب كثيرة تجل عن الحصر.

أما عن دلالة الصفات: فكل اسم من أسماء الله فإنه يتضمن صفة من صفاته؛ فالعليمُ يدل على العلم، والحكيم يدل على الحكمة، والسَّميعُ البصير يدلان على السمع والبصر.

ثالثًا: قواعد أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته:

القاعدة الأولى: أسماء الله تعالى توقيفية:

اتفق علماء الأمة على اختلاف مذاهبهم على أنه يجب الوقوف على ما جاء في الكتاب والسنة بذكر أسماء الله عز وجل نصا دون زيادة أو نقصان، وأن

---

(١) رواه البخاري في (التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحدا، (٢٥٨٥) ومسلم في (الذكر والدعاء، باب في أسماء الله تعالى، (٢٦٧٧)

(٢) رواه الإمام أحمد (١/ ٣٩١، ٤٥٢)، وابن حبان (٢٣٧٢)، وصححه ابن القيم؛ كما في «بدائع الفوائد» (١/ ١٦٦)، وحسنه الحافظ في «تخريج الأذكار»؛ كما في «الفتوحات الربانية» (٤/ ١٣).

أسماء الله الحسنى توقيفية على النص لا مجال للعقل فيها، وأن العقل لا يمكنه بمفرده أن يتعرف على أسماء الله ﷻ التي تليق بجلاله؛ ولا يمكنه أيضا إدراك ما يستحقه الرب ﷻ من صفات الكمال والجمال فتسمية رب العزة والجلال بما لم يسم به نفسه قول على الله بلا علم وهو أمر حرمه الله على عباده كما قال ﷻ في كتابه: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣]، وقال: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء:٣٦].

القاعدة الثانية: باب الصفات أوسع من باب الأسماء:

فكل اسم من أسماء الله يجوز أن يشتق منه صفة لله عز وجل فالعليم يشتق منه صفة العلم، والحكيم يشتق منه صفة الحكمة، ولكن ليس كل صفة يؤخذ منها اسم لله، مثل الكلام صفة لله عز وجل ولكن الله سبحانه ليس من أسمائه المتكلم. ومن أجل ذلك كان باب الصفات أوسع من باب الأسماء، فالله يوصف بصفات كالكلام، والإرادة، والاستواء، والنزول، والضحك، ولا يشتق له منها أسماء، فلا يسمى بالمتكلم، والمريد، والمستوي، والنازل، والضاحك، لأنها لا تدل في حال إطلاقها على ما يحمد الرب به ويمدح، وفي المقابل هناك صفات ورد إطلاق الأسماء منها كالعلو، والعلم، والرحمة والقدرة، لأنها في نفسها صفات مدح والأسماء الدالة عليها أسماء مدح فمن أسمائه: العلي، والعليم، والرحيم، والقدير[1].

---

(١) انظر: كتاب معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى: محمد بن خليفة بن علي التميمي ص (٥٢).

القاعدة الثالثة: أن باب الإخبار أوسع منهما:

فما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته كالشيء، والموجود، فإنه يخبر به عنه ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا.

فالنصوص جاءت بثلاثة أبواب هي: "باب الأسماء"، و"باب الصفات"، و"باب الإخبار".

القاعدة الرابعة: أسماء الله كلها حسنى:

أسماء الله كلها حسنى، وقد وصف الله تعالى أسماءه بالحسنى في أربعة مواضع من القرآن الكريم، وهي:

١- قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

٢- قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ [الإسراء: ١١٠].

٣- قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [طه: ٧، ٨].

٤- قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٤].

والحسنى: أي البالغة في الحسن غايته فأسماء الله هي أحسنُ الأسماء وأجلُّها لاشتمالها على أحسن المعاني و أشرفها.

فالحيُّ: متضمن للحياة الكاملة التي لم تُسبق بعدم ولا يلحقها زوال.

والرحمن: متضمن للرحمة الكاملة التي قال عنها رسول الله ﷺ: (الله أرحم بعباده من هذه بولدها)[١] يعني أم صبي وجدته في السبي فأخذته وألصقته ببطنها وأرضعته. والتي قال الله عنها: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦]، وقال عنها المقربون من ملائكته: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧][٢].

القاعدة الخامسة: الأسماء الحسنى لا تحدّ بعدد:

الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر، ولا تحد بعدد فإنَّ لله تعالى أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل كما في قوله ﷺ: (أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي وَجَلاَءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي)[٣].

فجعل أسماءه ثلاثة أقسام: قسم سمى به نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم ولم ينزل به كتابه، وقسم أنزل به كتابه فتعرف به إلى عباده، وقسم استأثر به في علم غيبه فلم يطلع عليه أحد من خلقه، ولهذا قال استأثرت به أي انفردت بعلمه[٤].

القاعدة السادسة: الإيمان بأسماء الله يتضمن أموراً:

أولاً: الإيمان بثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.

---

(١) رواه البخاري ح ٥٩٩٩، ومسلم ح ٢٧٥٤.

(٢) انظر: كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة: نخبة من العلماء. ص (١١). الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية.

(٣) رواه أحمد (١/ ٣٩١، ٤٥٢)، وابن حبان (٩٦٨)، والحاكم (١ / ٥٠٩)، وأبو يعلى (٥٢٩٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٩)

(٤) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (١/ ١٧١)، وانظر أيضا شفاء العليل ص (٢٧٧).

ثانيًا: الإيمان بما دل عليه الاسم من المعنى أي "الصفة".

ثالثـًا: الإيمان بما يتعلق به من الآثار والحكم والمقتضى.

مثال لهذه القاعدة: اسم الله السميع فنثبت الاسم أولاً، ونثبت "السمع" صفة له ثانيـًا، ثم نثبت ثالثـًا: الحكم أن الله يسمع السر والنجوى.

والأثر: وهو وجوب خشية الله ومراقبته وخوفه والحياء منه عز وجل. وهكذا في جميع أسماء الله تعالى.

رابعـًا: ثمرات الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات:

العلم بأسماء الله وصفاته، وتدبرها، وفهمها على مراد الله أهم العلوم وأشرفها؛ لما يثمره من الثمرات العظيمة النافعة المفيدة.

ولقد اعتنى علماء الإسلام - قديمـًا وحديثـًا - في بيان أسماء الله وصفاته، وشرحها، وإيضاحها، وبيان ثمرات الإيمان بها، فمن الثمرات التي تحصل من جراء الإيمان بها ما يلي:

١ - العلم بأسماء الله وصفاته هو الطريق إلى معرفة الله:

فالله خلق الخلق ليعرفوه، ويعبدوه، وهذا هو الغاية المطلوبة منهم؛ فالاشتغال بذلك اشتغال بما خُلق له العبد، وتركه وتضييعه إهمال لما خُلق له، وقبيح بعبد لم تزل نِعَمُ الله عليه متواترة أن يكون جاهلاً بربه، معرضـًا عن معرفته.

وإذا شاء العباد أن يعرفوا ربهم فليس لهم سبيل إلى ذلك إلا التعرف عليه من خلال النصوص الواصفةِ له، المصرِّحةِ بأفعاله وأسمائه، كما في آية الكرسي، وآخر سورة الحشر، وسورة الصمد، وغيرها.

٢ - أن معرفة الله تدعو إلى محبته وخشيته وخوفه ورجائه وإخلاص العمل له: وهذا هو عين سعادة العبد، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه وصفاته والتفقه بمعانيها، وأحكامها، ومقتضياتها.

٣ - تزكية النفوس وإقامتها على منهج العبودية للواحد الأحد: وهذه الثمرة من أجل الثمرات التي تحصل بمعرفة أسماء الله وصفاته، فالشريعة المنزلة من عند الله تهدف إلى إصلاح الإنسان، وطريقُ الصلاح هو إقامة العباد على منهج العبودية لله وحده لا شريك له، والعلمُ بأسماء الله وصفاته، يعصم - بإذن الله- من الزلل، ويفتح للعباد أبواب الأمل، ويثبت الإيمان، ويعين على الصبر، فإذا عرف العبد ربه بأسمائه وصفاته، واستحضر معانيها - أثّر ذلك فيه أيما تأثير، وامتلأ قلبه بأجل المعارف والألطاف.

فمثلاً أسماء العظمة تملأ القلب تعظيماً وإجلالاً لله.

وأسماء الجمال والبر والإحسان والرحمة والجود تملأ القلب محبة له، وشوقاً إليه، ورغبة بما عنده، وحمداً وشكراً له.

وأسماء العزة، والحكمة، والعلم، والقدرة - تملأ القلب خضوعاً وخشوعاً وانكساراً بين يديه عز وجل.

وأسماء العلم، والخبرة، والإحاطة، والمراقبة، والمشاهدة - تملأ القلب مراقبةً لله في الحركات والسكنات في الجلوات والخلوات، وحراسةً للخواطر عن الأفكار الرديئة، والإرادات الفاسدة.

وأسماء الغنى، واللطف، تملأ القلب افتقاراً، واضطراراً، والتفاتاً إليه في كل وقت وحال.

٤ - **الانزجار عن المعاصي**: ذلك أن النفوس قد تهفو إلى مقارفة المعاصي، فتذكر أن الله يبصرها، فتستحضر هذا المقام وتذكر وقوفها بين يديه، فتنزجر وترعوي، وتجانب المعصية.

٥ - **أن النفوس تتطلع وتتشوق إلى ما في أيدي الآخرين، وربما وقع فيها شيء من الاعتراض أو الحسد، فعندما تتذكر أن الله من أسمائه "الحكيم"، والحكيم هو الذي يضع الشيء في موضعه - عندئذٍ تكف عن حسدها، وتنقدع عن شهواتها، وتنفطم عن غيّها.**

٦ - **أن العبد يقع في المعصية: فتضيق عليه الأرض بما رَحُبت، ويأتيه الشيطان؛ ليجعله يسيء ظنه بربه، فيتذكر أن من أسماء الله "الرحيم، التواب، الغفور"، فلا يتمادى في خطيئته، بل ينزع عنها، ويتوب إلى ربه، ويستغفره فيجده غفوراً تواباً رحيماً.**

٧ - **ومنها أن العبد تتناوشه المصائب، والمكاره، فيلجأ إلى الركن الركين، والحصن الحصين، فيذهب عنه الجزع والهلع، وتنفتح له أبواب الأمل.**

٨ - **ويقارع الأشرار، وأعداء دين الله من الكفار والفجار، فيجدُّون في عداوته، وأذيته، ومنع الرزق عنه، وقصم عمره، فيعلم أن الأرزاق والأعمار بيد الله وحده، وذلك يُثمر له الشجاعة، وعبودية التوكل على الله ظاهراً وباطناً.**

٩ - **وتصيبه الأمراض، وربما استعصت وعزَّ علاجها، وربما استبد به الألم، ودب اليأس إلى قلبه، وذهب به كل مذهب، حينئذٍ يتذكر أن الله هو الشافي، فيرفع يديه إليه ويسأله الشفاء، فتنفتح له أبواب الأمل، وربما شفاه الله من مرضه، أو صرف عنه ما هو أعظم، أو عوضه عن ذلك صبراً وثباتاً ويقيناً هو عند العبد أفضل من الشفاء.**

المبحث الرابع: أركان الإيمان

أركان الإيمان هي الركائز الأساسية التي يقوم عليها البناء الإيماني، وكلها تتعلق بأمور يعتقدها المؤمن اعتقادًا جازمًا بناءً على ما ورده من خبر صادق بخصوصها.

كما أن هذه الأركان متفق عليها بين جميع الأديان المنزلة من عند الله تعالى، حيث دعا كل رسول قومه للإيمان بها كما قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

ولا يصح إيمان المسلم إلا باعتقاده الجازم لجميع هذه الأركان اعتقادًا صحيحًا بعيدًا عن الشك. وهذه الأركان هي: الإيمان بالله والإيمان بالملائكة والإيمان بالكتب والإيمان بالرسل والإيمان باليوم الآخر والإيمان بالقضاء والقدر، وهي جميعها متعلقة بالغيب حيث إن اعتقادها مبني على ما بلغنا من نصوص الوحي بخصوصها.

وقد بيَّن الله تعالى أصول الإيمان بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وجمعها النبي ﷺ في إجابته على سؤال جبرائيل عليه السلام عندما قال له: ما الإيمان؟ فقال: (الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)[1].

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم برقم (٨) عن عمر رضي الله عنه.

أولاً: الإيمان بالله عز وجل:

هو الاعتقاد الجازم بوجود الله تعالى ربـاً وإلهـاً ومعبوداً واحداً لا شريك له، والإيمـان بأسمائه وصفاته التي وردت في القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية من غير تحريف لمعانيها أو تشبيه لها بصفات خلقه أو تكييف أو تعطيل.

ويتحقّق الإيمان بالله تعالى بأمور:

الأول: الإيمان بأن الله تعالى متفرد بالخلق والملك والتدبير مطلقـاً، فلا شريك له في ذلك، ولا مدبِّر معه، ولا معقِّب لحكمه، ولا رادَّ لقضائه، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وهذا التوحيد مستقر في فِطَر عامة البشر، فهم مُقِرُّون لله تعالى به، ولم يجحد هذا التوحيد إلا مكابر معاند، قد تظاهر بجحوده مع استقراره في نفسه، كما قال تعالى عن آل فرعون: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾ [النمل: ١٤]، فمن أنكره فهو مقر به باطنـاً، وإنما تظاهر بإنكاره تكبراً وعناداً.

الثاني: اعتقاد أن الله تعالى هو الإله الحق المستحق للعبادة، وحده لا شريك له، فلا تنبغي العبادة إلا له، ولا يستحقها أحدٌ سواه، وإفراده تعالى بجميع الطاعات على الوجه الذي شرع، وأن يطاع نبيه ﷺ فيها ويُتبع، وترك الشرك والبدع.

الثالث: إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه، وفيما صحَّ عن نبيه ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العُلى، على الوجه اللائق بجلال الله تعالى وعظمته، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فأثبت الله تعالى لنفسه الأسماء والصفات، ونزَّه نفسه عن مماثلة المخلوقات.

وسيأتي بيان ذلك في مبحث خاص في الإيمان بأسماء الله وصفاته.

ثانيًا: الإيمان بالملائكة:

المقصود من الإيمان بالملائكة هو الاعتقاد الجازم بأن الله خلق الملائكة من نور وهم موجودون، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله القيام بها. قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ويتحقق الإيمان بالملائكة بأمور منها:

١ - التصديق بوجودهم ومادة خلقهم، وما جاءت به النصوص من صفتهم والحكمة من خلقهم وشأنهم.

٢ - الإيمان تفصيلاً بمن علمنا اسمه من طريق الوحي على وجه الخصوص مثل: جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، ورضوان، ومالك، ونؤمن إجمالاً بما لم نعلم اسمه منهم.

٣ - الإيمان بما علمنا من وظائفهم وأعمالهم وما دلت عليه النصوص من اختصاصهم - على الوجه الذي ورد - واعتقاد أنهم يقومون بما كلفوا خير قيام وأحسنه.

٤ - الاعتقاد بأنهم عباد مخلوقون مربوبون ليس لهم من خصائص الإلهية والعبادة شيء، والكفر بعبادة من عبدهم والبراءة منه.

٥ - التصديق بمقاماتهم العظيمة عند الله تعالى،وما لهم عنده من الكرامة، واعتقاد وجوب موالاتهم ومحبتهم، واعتقاد تفاضلهم في المقامات والمهمات، والحذر من معاداتهم.

٦ - تنزيههم وتبرئتهم مما زعمه المشركون فيهم من أنهم إناث أو بنات الله، أو أنهم يشفعون عند الله بغير إذنه، أو يشفعون لأحد من المشركين به.

ثالثاً: الإيمان بالكتب السماوية:

الإيمان بالكتب السماوية معناه اعتقاد أن لله تعالى كتباً أنزلها على رسله هدايةً لعباده، متضمنةً لأصول دينه وقواعد شريعته، وكليات الأخلاق التي يحبها الله سبحانه ويرضاها، ومهمات مما نهى عنه جل ذكره.

وتحقيق الإيمان بالكتب يكون بأمور:

١ - الإيمان بما سمى الله منها تفصيلاً: كصحف إبراهيم، وصحف موسى - وهي التوراة، والزبور، والإنجيل، والقرآن، وإجمالاً بما لم يسمه منها.

٢ - اعتقاد أنها كلها كلام الله تعالى، تكلم بها حقيقة كما شاء بكيفية لا يعلمها إلا هو سبحانه، وأنها حق وصدق وهدى لمن خوطب بها من الأمم، ومشتملة على الشرائع التي تعبّد الله المخاطبين بها.

٣- اعتقاد أنها كلها دعوة إلى عبادة الله تعالى، وتفصيل لحقه على خلقه وحقوق عباده بعضهم على بعض، وفيها نهي لهم عن مخالفته، وذكر ثواب المطيعين وعقوبات العاصين.

٤ - اعتقاد أنها يصدق بعضها بعض، فلا تناقض بينها ولا تعارض، فإنها سالمة من ذلك، فإن وجد فيها ما يوهم التعارض والتناقض فهذا جاء من أفهام بعض الناس وعقولهم، وليس من جهتها.

٥- أن الحجة قامت بها على المخاطبين بها، واتضحت لهم بها المَحَجَّة - الطريق أو السبيل الموصلة إلى الله تعالى -، وزالت بها المعذرة، فيجب العمل بها، ولا يحل لهم مخالفتها، ولا التحاكم إلى غيرها، ولا تعطيلها؛ بل يجب عليهم قبولها والعمل بهداها والحذر من مخالفتها.

٦- أن الكتب الأولى كانت موجهة لأزمنة محدودة، ولطوائف معينة، وأن بعضها ينسخ بعضها، وأن المتأخر منها ينسخ المتقدم من حيث الأحكام.

٧- الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى نسخ جميع الكتب السابقة بالقرآن العظيم المشتمل على أحسن ما فيها، وجعل الله فيها أحكاماً مناسبة للأمة إلى أن يأتي الله بأمره، وصانه عما في الكتب السابقة من الآصار والأغلال، وما لا يناسب الأمة من أحكام الكتب السابقة، وحفظه من أن تمتد إليه يد التحريف، فأغنى به سبحانه عنها، وجعله حاكماً ومهيمناً عليها، فلا يسع أحداً من أهل الكتب السابقة ولا غيرهم أن يعبد الله تعالى بعد نزول القرآن بغير ما جاء به، ولا أن يتحاكموا إلى غيره.

فائدة عظيمة في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن العظيم:

أهل السنة والجماعة يعتقدون سلامة القرآن العظيم من التحريف، والتبديل، والتغيير، والنقص، والزيادة بأي وجه من الوجوه، ويرون أن القول بذلك طعن في وعد الله تعالى الذي لا يتخلف، وذلك قوله سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

والظن بأن الصحابة أو بعضهم أقدم على ذلك طعن في الله، وفي رسوله.

ذلك أن الله تعالى لم يكن لينصر رسوله على أمم الكفر والشرك، ثم يحيطه بجماعة من المنافقين يربيهم ويعلمهم ويؤاكلهم ويجالسهم ويعيش

دهره معهم، وهم خونة فجرة، لا يؤتمنون على وحي، ولا يصلحون لحمل الرسالة، وتبليغ الدين، فأي طعن في الله تعالى فوق هذا الطعن؟! وأي تكذيب لوعد الله بالنصر والتمكين وإكمال الدين فوق هذا التكذيب؟!.

وكيف يسعى رسول الله ﷺ لهداية أمم الأرض من حوله، وهو عاجز عن أن يصطفي جماعة قليلة من حوله؟!.

وأي نصر وفتح يهبه الله له، وهو لا يفتأ يؤاكل ويجالس، بل ويصاهر ويناسب كفاراً منافقين سيسعون إلى تغيير القرآن وتبديله كما يزعم هؤلاء؟!.

والظن بأن الصحابة الذين جمعوا القرآن، ودونوه يمكن أن يزيدوا فيه، أو ينقصوا منه طعن في الدين كله، وهل جاءنا الدين إلا عن طريقهم؟! وهل وصول الإسلام إلينا إلا ثمرة من ثمار دعوتهم وجهادهم؟!

ومن هنا كان قول أهل السنة والجماعة، أن من ادعى وجود التحريف في القرآن فهو كافر، ومن قال قولاً يفضي إلى تضليل الأمة فهو كافر.

وقد كتب أهل السنة في ذلك كتابات متنوعة، منها ما يذكرونه في أبواب الردة من كتب الفقه، وينصون على حكم هذه المسألة، ومنها ما هو في سياق الرد على الزنادقة والملاحدة والطوائف المنحرفة، ومنها ما يذكر في كتب الاعتقاد في بيان منزلة القرآن الكريم. ومنها تآليف معاصرة اهتمت بتقرير المسألة، ودحض شبهات المخالفين.

ومن كلام أهل السنة في ذلك:

قال القاضي عياض: "وقد أجمع المسلمون أن القرآن المتلو في جميع أقطار الأرض المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين، مما جمعه الدفتان من أول "الحمد لله رب العالمين" إلى آخر "قل أعوذ برب الناس" أنه كلام

الله، ووحيه المنزل على نبيه محمد ﷺ، وأن جميع ما فيه حق، وأن من نقص منه حرفاً قاصداً لذلك، أو بدله بحرف آخر مكانه، أو زاد فيه حرفاً مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الإجماع عليه، وأجمع على أنه ليس من القرآن عامداً لكل هذا أنه كافر"(١).

وقال ابن قدامة في لمعة الاعتقاد "ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفاً متفقاً عليه أنه كافر".

وليعلم أن بعض ضعاف العقول ظنوا أن إثبات النسخ نوع من التحريف، وحاولوا أن يشنعوا على أهل السنة بذلك، وهذا ناشئ من الجهل، واتباع الهوى، فإن النسخ قد دل عليه القرآن وأثبتته السنة، ولا يصدر إلا عن الله، أو عن رسوله ﷺ.

ومن زعم أن في كتب السنة روايات صحيحة تعتمد شيئاً من تحريف القرآن فهو كاذب.

ومن ادعى أن روايات التحريف عند غير أهل السنة مقابلة بمثلها عند أهل السنة فهو مغالط، وذلك من وجهين:

الأول: أن القضية ليست في روايات قد تصح، وقد تضعف، ولكن في تصريح بعض أئمة الضلال بكون القرآن محرفاً ومبدلاً ومغيراً.

والثاني: أنه على فرض وجود روايات من ذلك عند أهل السنة، فهي ساقطة باطلة قابلها أهل السنة بالإنكار، وحكموا على من اعتقد هذا التحريف بالكفر والردة، وهذا ما لم تفعله الفرق المنحرفة الطاعنة في القرآن، فإنهم يثبتون الروايات، ويتبنون ما تدل عليه، ولا يجرؤون على تكفير من اعتقدها ودان بها.

---

(١) الشفا في بيان حقوق المصطفى ﷺ (٢/ ٣٠٤).

رابعاً: الإيمان بالأنبياء و الرسل:

الإيمان بالرسل ركن عظيم من أركان الإيمان، وأصل من أصوله المنصوص عليها من القرآن والسنة، والتي لا يتحقق الإيمان إلا بها، قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٨٥]، فذكر سبحانه أن الإيمان بالرسل من جملة ما آمن به الرسول والمؤمنون، وجعل سبحانه الإيمان بالرسل براً وصدقاً وتقوى، فقال تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ...... ﴾ إلى قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

الإيمان بالأنبياء والمرسلين - عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم - هو الاعتقاد الجازم بنبوتهم ورسالتهم وما جاءت به النصوص بشأنهم.

ويتحقق الإيمان بهم بأمور، منها:

١- اعتقاد أن الله تعالى اصطفاهم واجتباهم على علم ليكونوا سفراء بينه وبين عباده في تبليغ رسالاته، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ .. ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

٢- اعتقاد صدقهم، وتصديق الله تعالى لهم فيما جاءوا به من عنده، وأنهم ما قالوا عليه إلا الحق.

٣- الإيمان بأنهم أشرف الأمم أنساباً، وأطيبهم أعراقاً، وأزكاهم نفوساً، وأكرمهم أخلاقاً، وأعظمهم شرفاً وسؤدداً.

٤- أنهم بلّغوا رسالاتهم إلى أممهم، ولم يكتموا منها شيئاً، ونصحوا لمن أرسلوا إليهم، وبيّنوا ما أرسلوا به بياناً شافياً، قامت به عليهم الحجة، واتضحت به المحجَّة، وزالت به المعذرة، ووجب على الأمم العمل به.

٥- اعتقاد عصمتهم عن الخطأ فيما بلغوا عن ربهم من الدين، وكذلك ما أرشدوا به أممهم من أمر الدنيا جازمين، وكذلك اعتقاد عصمتهم من كبائر الذنوب، وأما الصغائر فقد تقع منهم لكنهم لا يقرون عليها؛ بل ينبهون بشأنها ويوفقون للمبادرة إلى التوبة منها.

٦- اعتقاد فضلهم، وتفضيل الله تعالى بعضهم على بعض على نحو ما جاءت به الآيات والأحاديث الصحيحة، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

٧- اعتقاد أنهم أكمل الخلق علماً وعملاً، وأبرّهم وأرحمهم، وأن الله برأهم من كل عيب خِلْقِي وكل خُلُق رذيل.

٨- وجوب الاهتداء بهديهم على أممهم، وكمال التأسّي بهم، وطاعتهم، واتباع من أرسل إلينا منهم وهو النبي محمد ﷺ.

خامساً: الإيمان باليوم الآخر:

ومعناه هو التصديق بمجيئه وما يكون فيه والحكمة منه على النحو الوارد في الكتاب والسنة، ويتضمن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبرنا به الله عز وجل ورسوله مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار، وما أعد الله لأهلهما جميعاً.

سادساً: الإيمان بالقدر خيره وشره:

الإيمان بالقدر من أصول الاعتقاد، وسبيل أهل الرشاد، التي دلّ عليها القرآن، قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر:٤٩]، وقال تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣]، وقال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢].

* ودلّت عليها السنة الصحيحة، كما في حديث جبريل الطويل وفيه: (وتؤمن بالقدر خيره وشره)[1].

* وأجمع عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، فقد ثبت عن عدد من الصحابة الذين أدركوا طائفة القدرية الضالة - نفاة العلم - وردوا بدعتهم بالدلائل من الكتاب والسنة، وأخبروهم أن العبد لا يذوق طعم الإيمان ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ولا ينجو من النار حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، وتبرؤوا ممن أنكر القدر أو تكلّم فيه بخلاف الشرع.

ومعنى الإيمان بالقدر: هو التصديق التام والاعتقاد الجازم بما يأتي:

١- الإيمان بعلم الله القديم بالأشياء قبل كونها على ما هي عليه، وأنه تعالى علم ما كان وما يكون وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، فقد أحاط الله تعالى بكلِّ علماً، وعلمه غير مسبوق بجهل، ولا يعرض له نسيان، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [العنكبوت: ٦٢].

٢- والإيمان بأن هذا العلم مكتوب في اللوح المحفوظ، فإن الرب تبارك وتعالى خلق القلم فأمره بكتابة المقادير إلى يوم القيامة فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة وكان ذلك قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم برقم (٨) عن عمر رضي الله عنه.

سنة، كما جاءت به الأحاديث الصحيحة، **قال تعالى**: ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾ [القمر: ٥٣]، أي: مكتوب مسطور في كتاب.

٣- والاعتقاد الجازم بأنه لا يكون في ملكه تعالى شيء من إيجاد أو عدم أو حركة أو سكون، ولا فعل ولا ترك، ولا طاعة أو معصية إلا بمشيئته، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، مالك الملك ومدبره بمشيته وحكمته، لا مالك غيره، ولا ربَّ سواه.

٤- التصديق التام بأن الله تعالى خالق كل شيء لا خالق غيره، فهو خالق العباد وأعمالهم خيرها وشرها، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر: ٣].

٥- والعلم بأن ما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه.

والقدر سر الله في الخلق وتدبيره الملك، وهو دليل على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته وقوته ولطفه، فمن لا يؤمن بربوبية الله وأسمائه وصفاته فإنه لا يؤمن بالقدر حقًا.



﴿المبحث الخامس: مسائل في الإيمان﴾

أولاً: تعريف الإيمان:

هو التصديق الجازم، والإقرار الكامل، والاعتراف التام؛ بوجود الله تعالى وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، واستحقاقه وحده العبادة، واطمئنان القلب بذلك اطمئناناً تُرى آثاره في سلوك الإنسان، والتزامه بأوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه.

وأن محمد بن عبد الله ﷺ رسول الله، وخاتم النبيين، وقبول جميع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم عن ربه جل وعلا وعن دين الإسلام؛ من الأمور الغيبية، والأحكام الشرعية، وبجميع مفردات الدين، والانقياد له ﷺ بالطاعة المطلقة فيما أمر به، والكف عما نهى عنه ﷺ وزجر؛ ظاهراً وباطناً، وإظهار الخضوع والطمأنينة لكل ذلك.

ثانياً: الإيمان مركب من قول وعمل:

من أصول أهل السنة والجماعة التي اتفقوا عليها في مسمى الإيمان أن الإيمان مركب من: (قول، وعمل). أو (قول، وعمل، ونية). أو (قول، وعمل، ونية، واتباع السنة).

فمسمى الإيمان يطلق عند أهل السنة والجماعة على هذه الخصال مجتمعة، لا يجزئ أحدها عن الآخر، وهذه الأمور هي: قول القلب وقول اللسان وعمل القلب والجوارح.

فقول القلب: هو معرفته للحق، واعتقاده، وتصديقه، وإقراره، وإيقانه به؛ وهو ما عقد عليه القلب، وتمسك به، ولم يتردد فيه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الزمر: ٣٣-٣٤]. وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥]. وقال النبي ﷺ: (يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ)(١).

وقول اللسان: معناه النطق بالشهادتين، والإقرار بلوازمها.

وعمل اللسان: ما لا يؤدى إلا به؛ كتلاوة القرآن، وسائر الأذكار؛ من التسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير، والدعاء، والاستغفار، والدعوة إلى الله تعالى، وتعليم الناس الخير، وغير ذلك من الأعمال التي تؤدى باللسان؛ فهذا كله من الإيمان.

وعمل القلب: المراد به نيته، وتسليمه، وإخلاصه، وإذعانه، وخضوعه، وانقياده، والتزامه، وإقباله إلى الله تعالى، وتوكله عليه - سبحانه - ورجاؤه، وخشيته، وتعظيمه، وحبه وإرادته.

وعمل الجوارح: يكون بفعل المأمورات والواجبات، وترك المنهيات والمحرمات.

ثالثًا: معنى الإيمان حال الإطلاق والتقييد:

لفظ الإيمان في الكتاب والسنة جاء على نوعين: مقيد ومطلق.

النوع الأول: الإيمان المقيد.

الإيمان المقيد: المراد به الإيمان بأركان الإيمان الستة إيمانًا مجملاً عامًا، وهذا فرض عين، فيجب على كل مسلم ومسلمة أن يؤمن إيمانًا عامًا مجملاً

(١) رواه البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣).

بهذه الأركان، لحديث جبريل أنه ﷺ لما سئل عن الإيمان قال: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)[1]. فالإيمان المجمل العام دون تفاصيل هذا واجب على كل مسلم ومسلمة.

وحقيقة الإيمان المقيد أن يكون مع صاحبه الحد الأدنى من الإيمان الذي هو شرط صحة الإيمان والنجاة من الخلود في النار في الآخرة إن مات على ذلك، وبه تثبت الأحكام من فرائض ومواريث، وهذا الإيمان غير قابل للنقصان، لأن نقصانه يعني خروج الإنسان عن اسم الإيمان.

وهذه المرتبة من الإيمان يطلق على صاحبها الإسلام أو الإيمان المقيد (مؤمن ناقص الإيمان أو فاسق، فيدخل تحت هذه المرتبة أهل الكبائر عموماً، وكذلك من أسلم من أهل الطاعة ممن لم تدخل حقائق الإيمان في قلوبهم.

أيضاً كل من أزالت عنه النصوص الإيمان من أهل المعاصي هو داخل تحت هذه المرتبة لأن المنفي في النصوص هو حقيقة الإيمان، وكماله أو الإيمان الواجب، أما أصل الإيمان فلا ينتفي إلا إذا وقع في الكفر الأكبر ومن أمثلة ذلك:

قَوْلُهُ ﷺ: (وَاللهِ لا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ) قَالُوا: مَنْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»[2]، وَقَوْلُهُ ﷺ: (لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَشْبَعُ وَجَارُهُ جَائِعٌ)[3].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال النبي ﷺ جبريل عن الإيمان..(٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة (٨).

(٢) رواه البخاري في الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (٦٠١٩) عن أبي شريح العدوي رضي الله عنه، ومسلم في الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف(٤٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري في "الأدب المفرد" (١١٢)، والطبراني (١٢٧٤١)، وأبي يعلى (٢٦٩٩) وقال الألباني صحيح لغيره كما في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٥٦٢)

وقوله: (لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ أَبْصَارَهُمْ إِلَيْهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ)[(١)].

وغير ذلك من النصوص التي جاءت بنفي اسم الإيمان عن بعض المسلمين ممن يقع في شيء من المعاصي فنفي الإيمان عن أصحاب هذه الذنوب لا يعني إخراجهم من الإيمان ولا نفي التصديق الذي بقلوبهم، وإنما يعني نفي كماله الذي به يستحقون هذا الإطلاق.

النوع الثاني: الإيمان المطلق.

الإيمان المطلق ويقال عنه الإيمان الكامل، أو الإيمان المفصل أو حقيقة الإيمان، وهو أن يكون صاحبه ممن يؤدى الواجبات وبتجنب الكبائر وهو ممن وعد بالجنة بلا عذاب.

دليل ذلك قوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ..﴾ [الحديد: ٢١] الآية.

فهَؤلاء اجْتمعت لهم الأعمال الظَّاهرة والباطنة، ففعلوا ما أوجبه الله عليهم وتركوا ما حرَّم الله عليهم، فنالوا هذا الأجر العظيم.

فإن أتى بكبيرة من الكبائر فلا يوصف بالإيمان المطلق، لأن الإيمان المطلق هو الذي يستحق صاحبه الثواب ودخول الجنة بلا عذاب، وهؤلاء معرضون للوعيد ودخول النار إلا أن يشاء الله.

---

(١) رواه البخاري في المظالم باب النُّهْبَى بغير إذن صاحبه (٢٤٧٥)، ومسلم في الإيمان باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي... (٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

رابعًا: دخول الأعمال في مسمى الإيمان عند أهل السنة:

من أصول أهل السنة والجماعة التي اتفقوا عليها في مسمى الإيمان أن الإيمان قول وعمل واعتقاد قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

وقد خالف أهل السنة في دخول الأعمال في مسمى الإيمان طائفتان:

الأولى: طائفة ترى أنَّ الإيمان قول واعتقاد وعمل، إلا أنهم يعتقدون أنَّ الإيمان كلٌّ واحد لا يتجزأ، إذا ذهب بعضه ذهب كلُّه، ويخرج العبد من الإيمان بارتكابه الكبيرة أو فعله المعصية. وهذا هو مذهب الخوارج والمعتزلة. وزاد الخوارج الحكم بدخوله في الكفر، ويوم القيامة يكون مخلداً في النار. وقالت المعتزلة: بل يبقى في منزلة بين المنزلتين، ويوم القيامة يكون مخلداً في النار.

الثانية: من أخرجوا العمل من مسمى الإيمان، وهم المرجئة، وإنما سُمُّوا بذلك لأنهم أخروا العمل عن مسمى الإيمان.

ومن أدلة أهل السنة على إدخال الأعمال في مسمى الإيمان:

قول الله ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ثبت في سبب نزول هذه الآية أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ ﴾[1].

وقد أجمع المفسرون على أنه أراد صلاتكم إلى بيت المقدس، فثبت أن الصلاة إيمان، وإذا ثبت ذلك، فكل طاعة إيمان.

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الصلاة من الإيمان برقم (٤٠).

كذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال: ١-٤]، وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٦٢].

ففي هذه الآيات إشارة إلى أن جميع الأعمال المذكورة من واجبات الإيمان فلهذا نفي الإيمان عمن لم يأت بها، فإن حرف إنما يدل على إثبات المذكور ونفي غيره.

ومن الأدلة الصريحة في ذلك حديث وفد عبد القيس وفيه قوله ﷺ: (آمركم بالإيمان بالله وحده)، وقال: (هل تدرون ما الإيمان بالله وحده؟) قالوا: الله ورسوله أعلم قال: (شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تعطوا من الغنائم الخمس)[1].

ففي هذا الحديث فسر الرسول ﷺ للوفد الإيمان هنا بقول اللسان، وأعمال الجوارح ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيماناً بالله بدون إيمان القلب، وقد أخبر في مواضع أنه لابد من إيمان القلب، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان، وأي دليل على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان فوق هذا الدليل؟ فإنه فسر الإيمان بالأعمال ولم يذكر التصديق مع العلم بأن هذه الأعمال لا تفيد مع الجحود.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان برقم (٥٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله - ρ - برقم (١٧).

وقوله ﷺ: (لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له)[١].

وقوله ﷺ: (من أعطى لله ومنع لله، وأحب لله وأبغض لله، وأنكح لله فقد استكمل إيمانه)[٢].

خامسًا: العلاقة بين الإسلام والإيمان والإحسان، والفرق بينها:

جاء ذكر الإسلام والإيمان والإحسان في حديث جبريل ومجيئه إلى النبي ﷺ وسؤاله عن هذه الأمور الثلاثة فأجاب عن الإسلام بامتثال الأعمال الظاهرة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وعن الإيمان بالأمور الباطنة الغيبية، وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وعن الإحسان بمراقبة الله في السر والعلانية، فقَال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

فإذا ذكرت هذه الأمور الثلاثة مجتمعة كان لكل واحد منها معنى خاص، فيقصد بالإسلام الأعمال الظاهرة ويقصد بالإيمان الأمور الغيبية. ويقصد بالإحسان أعلى درجات الدين وإذا انفرد الإسلام دخل فيه الإيمان وإذا انفرد الإيمان دخل فيه الإسلام وإذا انفرد الإحسان دخل فيه الإسلام والإيمان.

---

(١) رواه أحمد (٣/ ١٣٥) (١٢٤٠٦)، وابن حبان (١/ ٤٢٢) (١٩٤). من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. قال الذهبي في المهذب: سنده قوي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧١٧٩).

(٢) رواه أبو داود (٤٦٨١). من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. ورواه الترمذي (٢٥٢١)، وأحمد (٣/ ٤٣٨) (١٥٦٥٥). من حديث معاذ الجهني رضي الله عنه. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن. وحسَّن الألباني كلا الطريقين في السلسلة الصحيحة (٣٨٠) ثم قال: والحديث بمجموع الطريقين صحيح.

وخلاصة ما يمكن أن يقال في الفرق بين الإيمان والإسلام والإحسان ما يأتي:

١- الإسلام والإيمان إذا قُرِن أحدهما بالآخر فالمقصود بالإسلام: الأعمال الظاهرة، وهي الأركانُ الخمسة، والمقصود بالإيمان: الأعمال الباطنة، وهي أركان الإيمان الستة، وإذا انفرد أحدهما شمل معنى الآخر وحكمه.

٢- دائرة الإحسان أعم من دائرة الإيمان، ودائرة الإيمان أعم من دائرة الإسلام، فالإحسان أعم من جهة نفسه؛ لأنه يشمل الإيمان، فلا يصل العبد إلى مرتبة الإحسان إلا إذا حقق الإيمان، والإحسان أخص من جهة أهله؛ لأن أهل الإحسان طائفة من أهل الإيمان، فكل محسن مؤمن، وليس كل مؤمن محسناً.

٣- الإيمان أعم من الإسلام من جهة نفسه؛ لأنه يشمل الإسلام، فلا يصل العبد إلى مرتبة الإيمان إلا إذا حقق الإسلام، والإيمان أخص من جهة أهله؛ لأن أهل الإيمان طائفة من أهل الإسلام ليسوا كلهم، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً.

سادساً: زيادة الإيمان ونقصانه، والأدلة على ذلك:

من عقيدة السلف الصالح - أهل السنة والجماعة - التي أجمعوا عليها: أن الإيمان يزيد وينقص، وأهله يتفاضلون فيه.

فيزيد الإيمان بأعمال القلب والجوارح وبقول اللسان؛ كالطاعات والعبادات؛ من التصديق والمعرفة والعلم، وذكر الله تعالى، والحب والبغض في الله، والخوف والرجاء من الله، والتوكل على الله.. الخ، والقيام بجميع شعائر الدين من الأعمال الصالحة.

وينقص الإيمان بأعمال القلب والجوارح وبقول اللسان؛ كفعل المعاصي والمنكرات، وارتكاب الذنوب والكبائر، والأقوال والأفعال الرديئة، وبغفلة القلب ونسيان ذكر الله تعالى، وبالحسد، والكبر، والعجب، والرياء والسمعة، والجهل، والإعراض، والتعلق بالدنيا، وقرناء السوء، وجميع الأعمال الطالحة.

ولقد جاءت نصوص الكتاب والسنة تدل دلالة واضحة على زيادة الإيمان ونقصانه وأن أهله متفاضلون فيه، فبعضهم أكمل إيماناً من بعض منهم السابق بالخيرات ومنهم المقتصد ومنهم الظالم لنفسه، فمنهم المحسن ومنهم المؤمن ومنهم المسلم كما جاءت نصوص الكتاب والسنة في ذلك، فهم ليسوا في الدين في مرتبة واحدة.

وهذا هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة في هذه المسألة أي أنهم يقولون بزيادة الإيمان ونقصانه. الأدلة على ذلك:

أولاً: دلالة الكتاب:

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٤].

وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، وقال تعالى: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١].

فهذه ستة مواضع من كتاب الله تدل دلالة واضحة على زيادة الإيمان. وإذا كانت هذه الآيات جاءت في التصريح بزيادة الإيمان فهي أيضـًا تدل بدلالة المفهوم على نقصانه فكل ما جاز زيادته جاز عليه النقصان.

ثانيـًا: دلالة السنة على زيادة الإيمان ونقصانه:

الدليل الأول: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ)[١].

فالمراد من هذا الحديث نفي كمال الإيمان الواجب لمن اقترف هذه المعاصي وأنه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان.

فالمؤمن قد يرتكب هذه المعاصي فينقص إيمانه فيكون مؤمنـًا ناقص الإيمان فإن تاب وأقلع عن هذه المعاصي زاد إيمانه.

وممن احتج بهذا الحديث على زيادة الإيمان ونقصانه جماعة من أهل العلم منهم الإمام أحمد رحمه الله تعالى. قال إسحاق بن إبراهيم: سألت أبا عبد الله عن الإيمان ونقصانه فقال: نقصانه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ..)[٢].

وقال أيضـًا رحمه الله: "الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وقال الزيادة في العمل وذكر النقصان إذا زنى وسرق"[٣].

---

(١) رواه البخاري انظره في الفتح (٥/ ١١٩) (١٠/ ٣٠)، ومسلم شرح النووي (٢/ ٤١)
(٢) رواه الخلال في السنة برقم (١٠٤٥) وابن هانئ في مسائله (٢/ ١٦٤)
(٣) رواه الخلال (١٠٣٥)، وابن بطة في الإنابة (١٠٤٥)

الدليل الثاني: ومن الأدلة أيضـاً على زيادة الإيمان ونقصانه من السنة حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ)(١).

وجه الدلالة من الحديث أن هذه الشعب المذكورة في الحديث ليست على درجة واحدة في الفضل بل بعضها أفضل من بعض كما هو ظاهر من قوله ﷺ: (أعلاها) وقوله: (أدناها)، فشعب الإيمان منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادتين ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق.

ولهذا استدل بهذا الحديث علماء السنة على زيادة الإيمان ونقصانه.

الدليل الثالث: ومن الأدلة أيضـاً حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ)(٢).

فهذا الحديث احتج به الإمام البخاري على زيادة الإيمان ونقصانه، ووجه الدلالة من هذا الحديث أن القائلين لا إله إلا الله متفاوتون في إيمانهم وأن منهم من يدخل النار بتفريطه وتقصيره في طاعة الله وأنه لا يخلد في النار لوجود أصل الإيمان معه فلا يسوي في الإيمان بين من معه إيمان يمنعه من دخول النار كلية وبين من لم يمنعه إيمانه من دخولها لتفريطه وكثرة معاصيه أن يمكث فترة قصيرة في النار وبين من استوجبت له أن يمكث فترة أطول.

---

(١) أخرجه البخاري انظر فتح الباري (١/ ٥١)، ومسلم شرح النووي (٢/ ٦)

(٢) أخرجه البخاري، انظر في الفتح (١/ ١٠٣)، ومسلم في شرح النووي (٢/ ٥٩)

وبهذه الأدلة نرى أن مذهب أهل السنة في هذه المسألة -أعني مسألة زيادة الإيمان ونقصانه- هو المذهب الصحيح بخلاف ما ذهب إليه بعض الطوائف الأخرى من القول بعدم زيادة الإيمان ونقصانه أو زيادته دون نقصانه أو توقف في النقصان دون الزيادة.

سابعًا: أوجه أسباب زيادة الإيمان ونقصانه:

المسلم الحق هو الذي يبحث عما يقوي به إيمانه فيقوم بفعله ويتعرف عما ينقص به إيمانه ليحذر منه ويتجنبه. ومن أوجه زيادة الإيمان ونقصانه؟

١- تعلم العلم النافع:

من أعظم ما يزيد الإيمان تعلم العلم النافع المستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ليس العلم المبني على الفلسفة والمنطق فإن هذا العلم يورث صاحبه الكآبة والسآمة ونقصان الدين ولذا حذر السلف من هذا العلم.

فأعظم العلم هو العلم بالله وأسمائه وصفاته وشرعه، فهذا الذي يورث العبد زيادة في إيمانه قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر٢٨].

٢ - قراءة القرآن بتدبر:

فهي من أعظم أبواب العلم المؤدية إلى زيادة الإيمان وثباته وقوته، قال ابن القيم رحمه الله: «وبالجملة فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر فإنه جامع لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين ومقامات العارفين وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والتفويض والشكر والصبر وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله...»[١].

---

(١) مفتاح دار السعادة، ص ٢٠٤.

٣ - معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى:

من أعظم الأمور التي يزداد بها القلب إيمانـًا معرفة الربّ ﷻ بأسمائه وصفاته التي جاءت بها نصوص الكتاب والسنة والتي تدل على كمال الله المطلق من كافة الوجوه.

٤ - تأمل سيرة النبي ﷺ:

فهذا من أسباب زيادة الإيمان فالنظر إلى سيرته ﷺ ودراستها وتأمل ما ذكر فيها من نعوته الطيبة وخصاله الكريمة وشمائله الحميدة وغير ذلك من الخصال الحميدة فإن العبد يزداد إيمانه بذلك، وتحصل هذه الزيادة من جهة أنه متى عرف خصال النبي الكريم -صلوات الله وسلامه عليه- ازداد في محبته له وأورثته هذه المحبة متابعة لنبيه ﷺ في القول والعمل وبالتالي يزداد إيمان العبد من جهة هذه المتابعة.

٥ - تأمل محاسن الدين الإسلامي:

الدين الإسلامي كله محاسن، عقائده أصلح العقائد وأصدقها وأنفعها، وأخلاقه أحمد الأخلاق وأجملها، وأعماله وأحكامه أحسن الأحكام وأعدلها.

وبهذا النظر الجليل والتأمل الجميل في محاسن هذا الدين يزيد الله الإيمان في قلب العبد ويحببه إليه كما امتن به على خيار خلقه بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧].

فيكون الإيمان في القلب أعظم المحبوبات وأجمل الأشياء وبهذا يذوق العبد حلاوة الإيمان ويجدها في قلبه.

٦ - قراءة سيرة السلف الصالح:

سيرة السلف الصالح رضي الله عنهم من أصحاب النبي وتابعيهم بإحسان تعد من أعظم ما يزيد القلب إيماناً ومحبة لله وإجلالاً له، فهم خير القرون وحماة الإسلام وأهل المشاهد والمواقف العظام، وهم حملة هذا الدين وأقوى الناس إيماناً وأرسخهم علماً وأبرهم قلوباً وأزكاهم نفوساً اختارهم الله لنصرة دينه ونصرة نبيه فقاموا بذلك أعظم قيام فرضي الله عنهم جميعاً.

وكما أن هناك أسباباً تزيد الإيمان وتقويه فهناك أسباب تنقص الإيمان وتضعفه، ومن أعظم أسباب نقص الإيمان ما يلي:

(١) الجهل بالله وشرعه.

فهذا من أعظم أسباب نقص الإيمان كما أن العلم من أعظم أسباب زيادته، فالمسلم العالم لا يؤثر محبة وفعل ما يضره ويشقى به ويتألم به على ما فيه نفعه وفلاحه وصلاحه.

وخلاصة القول هنا أن الجهل بالله وبأسمائه وصفاته من أعظم الأمور التي تضعف الإيمان فهو داء خطير ومرض فتاك يجر على صاحبه من الويلات والعواقب الوخيمة الشر الكثير.

(٢) الغفلة والإعراض والنسيان.

هذه الأمور سبب عظيم من أسباب نقص الإيمان، فمن اعترته الغفلة وشغله النسيان وحصل فيه الإعراض نقص إيمانه وضعف بحسب هذه الأمور الثلاثة وأوجبت له مرض القلب أو موته باستيلاء الشهوات والشبهات عليه.

(٣) فعل المعاصي وارتكاب الذنوب.

لا يخفى ما في ذلك من ضرر وسوء الأثر على الإيمان، فالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فكما أن فعل ما أمر الله به من واجب ومندوب يزيد في الإيمان فكذلك فعل ما نهى الله عنه من محرم ومكروه ينقص الإيمان.

ثامنًا: ما يناقض الإيمان.

إذا كان الإيمان لا يتحقق إلا بتحقق عناصره من القول والعمل في الظاهر والباطن، وإذا كان الكفر هو تخلف أحد هذه العناصر مما يمس أصل الإيمان، فإن تحقق الإيمان لشخص ما لا يضمن له النجاة من الكفر إلا إذا مات على هذا الإيمان ولم ينقضه بقول أو عمل أو اعتقاد.

ونواقض الإيمان من الأقوال والأفعال والاعتقادات قد أفردها كثير من العلماء وجعلوا لها بابًا خاصًا بها سموه باب المرتد.

والردة في الشرع هي: "الرجوع عن الإسلام إلى الكفر وقطع الإسلام"، وتحصل هذه الردة تارة بالقول، وتارة بالفعل، وتارة بالاعتقاد.

أ - نواقض الإيمان القولية.

وذلك كأن يسب الله ورسوله ﷺ، أو أن يدعي أنه يوحى إليه، أو يدعي النبوة، أو يدعي أنه يدخل الجنة ويأكل من ثمارها، وكذا لو سبَّ نبيًا من الأنبياء، أو استخف به؛ فكل ذلك يعد ناقضًا من نواقض الإسلام.

ب - نواقض الإيمان الفعلية.

تحصل الردة بالفعل كأن يسجد لصنم أو الشمس أو القمر، أو أن يلقي المصحف في القاذورات، وكذا أن يذبح لغير الله؛ كأن يذبح للأصنام، وكذا

السخرية بأسماء الله تعالى أو بأمره ووعيده، أو قراءة القرآن على ضرب الدف، أو فعل فعلاً أجمع المسلمون أنه لا يصدر إلا عن كافر وإن كان مصرحاً بالإسلام مع فعله كالسجود للصليب ونحو ذلك، فهذا ردة عن دين الإسلام.

ج ـ نواقض الإيمان الاعتقادية.

كأن يعتقد قدم العالم، أو حدوث الصانع، أو اعتقد نفي ما هو ثابت لله بالإجماع، أو أثبت ما هو منفي عنه بالإجماع كالألوان والاتصال والانفصال، أو استحل ما هو حرام بالإجماع، أو حرَّم حلالاً بالإجماع، أو استحل الخمر أو لحم الخنزير أو الزنا أو اللواط، أو أن السلطان يحلل ويحرم، أو أن يرضى بالكفر، أو أن يعتقد أن هذا الكون له مدبر غير الله؛ فيعتقد في الأولياء أنهم يدبرون حوائج الناس، أو اعتقد أن الولي أفضل من النبي، ونحو ذلك مما يعتقده عباد القبور كل هذا يعد ناقضاً من نواقض الإيمان.

تاسعًا: أثر المعاصي على الإيمان.

ذكرنا فيما سبق أن الإيمان يزيد وينقص، فيزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فللمعصية دور كبير في نقصان الإيمان لكن المعاصي درجات فبعضها كفر وبعضها ليس بكفر، وما ليس بكفر منها ما هو كبيرة من كبائر الذنوب ومنها ما هو صغيرة، وبيان ذلك كالآتي:

(١) المعاصي بعضها كفر وبعضها ليس بكفر.

جاءت نصوص الكتاب والسنة مبنية ما هو من المعاصي مخرج من الملة وما هو غير مخرج من الملة، وأخبرت هذه النصوص أن الأولى - أعني المعاصي المخرجة من الملة- لا تغفر إلا بالتوبة وتجديد الإيمان وأن الثاني صاحبها في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ [الحجرات: ٧].

ففي الآية الأولى يبين سبحانه وتعالى أنه لا يغفر لأحد مات على الشرك وما دون الشرك فإنه يغفره لمن يشاء من عباده.

وفي الآية الثانية: لما كانت المعاصي بعضها كفر وبعضها ليس بكفر فرّق بينها فجعلها ثلاثة أنواع: نوع منها كفر ونوع منها فسوق وليس بكفر ونوع عصيان وليس بكفر ولا فسوق وأخبر أنه كرَّهها كلها إلى المؤمنين.

وإذا كانت المعاصي درجات فكما ذكرنا أنها أيضاً درجات في التوبة فمنها ما تحتاج إلى توبة وتجديد إيمان مثل معصية الشرك أو الكفر فإنه لا يغفرها سبحانه إلا بذلك، أما المعاصي الأخرى فصاحبها تحت المشيئة على ما ذكرناه.

(٢) المعاصي التي ليست بكفر:

المعاصي التي هي دون الكفر أو الشرك المخرج من الملة ذهب السلف والخلف إلى انقسامها إلى قسمين: كبائر وصغائر.

دليل هذا التقسيم قوله ﷺ: (الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ)[١].

وقوله ﷺ: (مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ) قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: (نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ)[٢].

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٣٣)

(٢) رواه البخاري (فتح الباري ١٠/ ٣٣٨)، ومسلم برقم (٢٥٥٦)

عاشراً: آثار الإيمان على الفرد والمجتمع.

للإيمان بالله تعالى آثار عظيمة على حياة الأفراد والشعوب وهذه جملة من آثاره:

١ - من أعظم ثمرات الإيمان وأجلها محبة الله لأهل الإيمان.

٢ - ومن آثار الإيمان على الأفراد والمجتمعات زيادة الأمن في البلدان على الأموال والأعراض، والطمأنينة والهدوء في الأنفس والقلوب. يقول المولى سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، فالمؤمنون آمنون في الدنيا؛ لكمال خوفهم من الله، آمنون في الآخرة تتلقاهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون.

٣ - الثبات بكل صوره ومعانيه عند الشدائد والمحن والمصائب، فهو ثبات يوم أن تمتحن الأمة بأعدائها، وهو ثبات للداعي في دعوته، وللمريض عند مرضه حتى الممات، وهو ثبات أمام الشبهات والشهوات.

٤ - ومن آثار الإيمان على حياة الناس: ديمومة اتهام النفس، والخوف من الرياء والنفاق، وعدم احتقار الذنب. يقول [ابن أبي مليكة] كما في [البخاري]: "أدركت ثلاثين من صحابة رسول الله ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبرائيل وميكائيل".

٥ - نبذ كل ما يفرق الأمة من قوميات وعصبيات وعنصريات وحزبيات ونعَرات جاهلية؛ فالمقياس عند المؤمنين حقا التقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، جسد المؤمنين واحد، وبنيانهم واحد، أمة واحدة، لا شرق ولا غرب.

٦ - ومن آثار الإيمان على حياة الناس: تنقية قلوبهم من الحسد، وتصفيتها من الحقد والغل، واستلال الضغائن والسخائم منها؛ لتصبح الأمة كما قال رب العالمين: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

٧ - أنه عصمة وحجاب عن المعاصي والشهوات والشبهات. قال ﷺ: (لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نَهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ)[1].

٨ - ومن آثار الإيمان على حياة الناس أنه يكسب العزة التي تجعل الإنسان يمشي نحو هدفه مرفوع القامة والهامة، لا يحني رأسه لمخلوق، ولا يطأطأ رقبته لجبروت أو طغيان أو مال أو جاه، فهو سيد في الكون هذا وعبد لله وحده.

٩ - ومن آثار الإيمان: سعة الرزق لأهل الإيمان والبركة فيه.

١٠ - ومن آثار الإيمان صدق التوكل على الله، وتفويض الأمور إليه سبحانه وتعالى والاعتماد عليه في السعي في هذه الحياة، واستمداد العون منه في الشدة والرخاء؛ فالمؤمنون يجدون في توكلهم على الله راحة نفسية، وطمأنينة قلبية، إن أصابهم خير حمدوا الله -جل وعلا- وشكروه، وإن أصابتهم شدة صبروا وشكروا، ولسان حالهم ومقالهم: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]، ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ﴾ [إبراهيم:١٢].

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٨٢٧)، ومسلم برقم (٢٦٩)

١١ - انشراح الصدر، وطمأنينة القلب ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الزمر:٢٢]، فالمؤمن منشرح الصدر، مطمئن القلب، قد آمن بالله ربًّا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً فذاق حلاوة الإيمان، فانشرح صدره.

١٢ - ومن آثار الإيمان على الحياة بعمومها نجاة سفينة الأمة، ووصولها لبر الأمان نتيجة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر الذي هو من الإيمان، بل هو عماد من أعمدة الإيمان.

١٣ - حفظ الجوارح، وتذليلها لطاعة الله، وانقيادها لأوامر الله؛ ومن ذلك حفظ القلب من الشهوات والشبهات. وحفظ اللسان من الغيبة والنميمة والوقوع في أعراض المسلمين والإفساد. وحفظ السمع والبصر فيما حرَّم الله وحفظ البطن عن أكل الحرام فلا يدخل له إلا ما أحله الله.

١٤ - ومن آثار الإيمان على الحياة آثاره على المجالس، حيث يجعلها رياضًا من رياض الجنة، ملائكة تحفُّ، ورحمة تتنزل، وسكينة تغشى.

١٥ - يكون المؤمن ذا نفس شفافة شفيقة وقلب رقيق أسيف، يتأثر بذكر الله، فيخشع قلبه، وتسيل دمعته، ولا يكون قاسيا جلفا، يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢].

١٦ - ومن أعظم آثار الإيمان وأجلها وأكرمها رضوان الله عن العبد، قال تعالى: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ﴾ [التوبة:٧٢]، وقال عن أهل الإيمان: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة:٨] وهل الخشية إلا الإيمان.

المبحث السادس: مسائل التكفير والتفسيق

لا يجوز تكفير المسلم إلا بدليل ساطع، لا مدافع له، إذ الشهادة بالكفر على الموحد من أعظم الزور والظلم والبهتان.

قال الشوكاني: "اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار، فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية من طريق جماعة من الصحابة أن (من قال لأخيه: يا كافر. فقد باء بها أحدهما).... إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ: ففي هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظم زاجر وأكبر واعظ عن التسرع في التكفير"(١).

وأما ابن حزم فإنه يرى أن البرهان المطلوب للحكم بكفر المسلم ينبغي أن يكافئ ما ثبت به إسلامه، فلا يرفع عنه اسم الإسلام إلا بنص أو إجماع: "والحق هو أن كل من ثبت له عقد الإسلام، فإنه لا يزول عنه إلا بنص أو إجماع، وأما بالدعوى والافتراء فلا. فوجب أن لا يكفر أحد بقول قاله إلا بأن يخالف ما قد صح عنده أن الله تعالى قاله، أو أن رسول الله ﷺ قاله، فيستجيز خلاف الله تعالى وخلاف رسوله ﷺ، وسواء كان ذلك في عقد دين أو في نحلة أو في فتيا، وسواء كان ما صح من ذلك عن رسول الله ﷺ منقولاً نقل إجماع تواتراً أو نقل آحاد"(٢).

وبمثله قال الباقلاني: "ولا يكفر بقول ولا رأي إلا إذا أجمع المسلمون على أنه لا يوجد إلا من كافر، ويقوم دليل على ذلك، فيكفر"(٣).

---

(١) السيل الجرار (٤/ ٥٧٨).
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ٣٩٢)
(٣) فتاوى السبكي (٢/ ٥٧٨).

أولاً: النصوص القرآنية والنبوية في التحذير من التكفير.

لقد حذّر الشارع الحكيم من تكفير أحد من المسلمين، فقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾ [النساء: ٩٤].

وقال النبي ﷺ: (لَا يرمِي رجلٌ رَجُلًا بالفُسوقِ وَلَا يرمِيهُ بِالكُفرِ إلا ارتَدَّتْ عَليه إِن لَم يَكن صَاحِبُه كَذلِك)[(١)].

وقال النبي ﷺ: (أَيُّما امْرِئٍ قَالَ لأَخِيهِ يَا كَافِرُ. فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلاَّ رَجعَتْ عَلَيْه)[(٢)].

وهذا وعيد عظيم لمن أكفر أحداً من المسلمين وليس كذلك، وهي ورطة عظيمة وقع فيها خلق كثير من المتكلمين، ومن المنسوبين إلى السنة وأهل الحديث لما اختلفوا في العقائد، فغلظوا على مخالفيهم، وحكموا بكفرهم"[(٣)].

يقول ابن تيمية رحمه الله: "إني من أعظم الناس نهيًا عن أن يُنسب معيَّن إلى تكفير، وتفسيق، ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحُجّة الرسالية التي من خالفها كان كافرًا تارة، وفاسقًا أخرى، وعاصيًا أخرى، وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية"[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٦٠٤٥) ومسلم (٦١).
(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر برقم (٢٢٥).
(٣) انظر: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد (٤/ ٧٦).
(٤) مجموع الفتاوى (٣/٢٢٩)

فائدة مهمة:

عندما نقرر خطورة هذه المسألة، والتحذير من تكفير من ليس بكافر، فلا يعني تهوين هذه المسألة، وإغلاق باب الردة بالحكم بإسلام من ظهر كفره بالدليل والبرهان، فهذا المسلك لا يقل انحرافًا وخطرًا عن سابقه، وكلا الطرفين مذموم.

ولقد أخطأ قوم، فأرادوا الرد على أولئك الغلاة، فسلكوا مسلك الإرجاء، فالواجب أن نحذر من أسلوب رد البدعة ببدعة، ولا يُقابَل الباطل بباطل، كما يتعيّن بيان هذه المسألة بعلم وعدل، فأهل السنة يعلمون الحق ويرحمون الخلق.

وإن أول نزاع حدث في الأمّة هو النزاع في التكفير. فكان أول بدعة حدثت في هذه الأمة بدعة الخوارج المكفرة بالذنوب، إضافة إلى أن بدعتهم أظهر البدع ذمًا للسنة والآثار، ولقد كان باب التكفير وعدم التكفير، باب عظمت الفتنة والمحنة فيه، وكثر فيه الافتراق، وتشتت فيه الأهواء والآراء.

ثانيًا: التكفير حكم شرعي مرده إلى الشرع.

التكفير حكم شرعي، مرده إلى الله ورسوله، فكما أن التحليل والتحريم والإيجاب إلى الله ورسوله ﷺ فكذلك التكفير، وليس كل ما وصف بالكفر من قول أو فعل، يكون كفرا أكبر مخرجا عن الملة.

ولما كان مرد حكم التكفير إلى الله ورسوله لم يجز أن نكفر إلا من دل الكتاب والسنة على كفره دلالة واضحة، فلا يكفي في ذلك مجرد الشبهة والظن، لما يترتب على ذلك من الأحكام الخطيرة، وإذا كانت الحدود تدرأ بالشبهات، مع أن ما يترتب عليها أقل مما يترتب على التكفير، فالتكفير أولى

أن يدرأ بالشبهات؛ ولذلك حذر النبي ﷺ من الحكم بالتكفير على شخص ليس بكافر، فقال: (أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لأَخِيهِ يَا كَافِرُ. فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلاَّ رَجَعَتْ عَلَيْهِ)(١).

وقد يرد في الكتاب والسنة ما يفهم منه أن هذا القول أو العمل أو الاعتقاد كفر، ولا يكفر من اتصف به، لوجود مانع يمنع من كفره، وهذا الحكم كغيره من الأحكام التي لا تتم إلا بوجود أسبابها وشروطها، وانتفاء موانعها كما في الإرث، سببه القرابة - مثلا - وقد لا يرث بها لوجود مانع كاختلاف الدين، وهكذا الكفر يكره عليه المؤمن فلا يكفر به. وقد ينطق المسلم بكلمة الكفر لغلبة فرح أو غضب أو نحوهما فلا يكفر بها لعدم القصد، كما في قصة الذي قال: (اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ. أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ)(٢).

وجملة القول: أن التسرع في التكفير له خطره العظيم؛ لقول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣](٣).

ثالثاً: خطورة التكفير.

من أعظم ما أصيبت به الأمة هو تجرأ البعض على تكفير المسلمين واتهامهم بالفسق والضلال والانحراف أو النفاق وللتكفير خطورته على الأفراد خاصة والمجتمعات عامة وهذه جملة من أخطاره:

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر برقم (٢٢٥).

(٢) رواه البخاري في الدعوات باب التوبة... (٦٣٠٨)، ومسلم في التوبة باب في الحض على التوبة والفرح بها (٢٧٤٧) عن أنس رضي الله عنه.

(٣) انظر: البيان بالدليل لما في نصيحة الرفاعي ومقدمة البوطي من الكذب والتضليل، مجلة البحوث الإسلامية العدد التاسع والخمسون - الإصدار: من ذو القعدة إلى صفر لسنة ١٤٢٠هـ.

أ - أخطار التكفير على الأفراد:

١- من أخطار التكفير على الفرد أنه لا يحل لزوجته البقاء معه، ويجب أن يفرق بينها وبينه، لأن المسلمة لا يصح أن تكون زوجة لكافر بالإجماع المتيقن.

٢-أن أولاده لا يجوز أن يبقوا تحت سلطانه، لأنه لا يؤتمن عليهم ويخشى أن يؤثر عليهم بكفره.

٣. أن فقد حق الولاية والنصرة على المجتمع الإسلامي، بعد أن مرق منه وخرج عليه بالكفر الصريح، والردة البواح.

٤. أن يجب أن يحاكم أمام القضاء الإسلامي، لينفذ فيه حكم المرتد، بعد أن يستتيبه ولي الأمر ويزيل من ذهنه الشبهات، ويقيم عليه الحجة.

٥. أنه إذا مات لا تجرى عليه أحكام المسلمين، فلا يغسل ولا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يورث، كما أنه لا يرث إذا مات مورث له.

٦. إنه إذا مات على حاله من الكفر يستوجب لعنة الله وطرده من رحمته، والخلود الأبدي في نار جهنم.

وهذه الأحكام الخطيرة توجب على من يتصدى للحكم بتكفير خلق الله أن يتريث مرات ومرات قبل أن يقول ما يقول.

ب - أخطار التكفير على المجتمع:

١ - أن التكفير يعتبر تقنيطاً للمجتمع المسلم من رحمة الله تعالى.

٢- يعتبر التكفير إهداراً للدم المعصوم ومن المعلوم أنه من مقاصد الإسلام العليا صيانة النفوس من إهدار دمها.

٣ - كذلك من أخطار التكفير التي تجري على الفرد والمجتمع إبطال قواعد الزواج والتوارث والترحم على موتى المسلمين ولا يخفى على كل ذي عقل ما هي النتائج الوخيمة التي سوف تترتب على إبطال و إلغاء مثل هذه القواعد العظيمة في حياة الأمة المسلمة.

ج - أخطار التكفير على الإسلام والمسلمين:

من أخطار ظاهرة التكفير على الإسلام والمسلمين فشو الجهل وخفاء العلم بالدين: عقيدة وشريعة، وتشويه سماحة الإسلام وعالميته، وكذلك اختلال الأمن العام للمسلمين وغيرهم: الأمن العقدي والفكري والأمن الديني، والأمن الاجتماعي، والأمن السياسي، والعسكري، والأمن الأسري، والأمن النفسي، ولا سيما على العقل والدين والعرض والنفس والمال، وهي الضرورات الخمس التي أجمعت على حفظها شرائع الله قاطبة. والنبي ﷺ يقول: (كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ)[١]، وفي حجة الوداع في يوم عرفة قال: (فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا)[٢].

ولقد عانى كثير من المسلمين من ويلات هذه النهج الخاطئ فَروِّع الآمنون واستحلت دمائهم واموالهم وانتشرت هذه الفتنة وعم الاضطراب في بلاد المسلمين، فتشوهت صورة الإسلام الصحيح في نظر غير المسلمين، واستغل هذا الأمر اعداء الإسلام حيث صوروا لغير المسلمين أن دين الإسلام دين إرهاب وقتل وسرق ونهب، وقد بلغ ببعض أفراد تلك الطائفة أن استحلت الأموال العامة وسعت إلى إتلاف ما أمكن اتلافه ومحاولة زعزعة الأمن وإخافة الآمنين وإيذائهم.

---

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله، برقم (٢٥٦٤).
(٢) رواه أخرجه البخاري في العلم باب قول النبي ﷺ «رُبَّ مبلغ أوعى من سامع» (٦٧)، ومسلم في القسامة باب تغليظ تحريم الدماء (١٦٧٩) عن أبي بكرة رضي الله عنه.

رابعـاً: ضوابط التكفير.

هناك جملة من الضوابط التي يجب اعتبارها عند الحكم بتكفير شخص معين ومن هذه الضوابط ما يأتي:

١- أن أهل السنة والجماعة لا يكفرون بالمعاصي، ولو كانت هذه المعاصي من الكبائر وهذا ما أجمع عليه علماء أهل السنة والجماعة وقد تناولنا هذا الضابط بشيءٍ من التفصيل في مبحث الكبائر والصغائر.

٢ -أن التكفير حكم شرعي لا مدخل للرأي المجرد فيه ،لأنه من المسائل الشرعية لا العقلية،لذا صار القول فيه من خالص حق الله تعالى لا حَقَّ فيه لأحد من عباد، فالكافر من كفره الله تعالى ورسوله ﷺ لا غير.

٣- أن للحكم بالردة والكفر موجبات وأسباباً هي نواقض الإيمان والإسلام، من اعتقاد، أو قول، أو فعل، أو شك، أو ترك، مما قام على اعتباره الدليل الساطع من الكتاب أو السنة، أو الإجماع، فلا يكفي الدليل الضعيف السند ، ولا مشكل الدلالة، ولا عبرة بقول أحد كائنا من كان إذا لم يكن لقوله دليل صريح صحيح .

٤ - أنه يتعين التفريق بين التكفير المطلق وهو: التكفير على وجه العموم في حق من ارتكب ناقضـاً من نواقض الإسلام، وبين تكفير المعين، فإن الاعتقاد أو القول، أو الفعل، أو الشك، أو الترك، إذا كان كفرا فإنه يطلق القول بتكفير من فعل ذلك الفعل، أو قال تلك المقالة وهكذا ... دون تحديد معين به. أما المعين إذا قال هذه المقالة، أو فعل هذا الفعل الذي يكون كفرا، فينظر قبل الحكم بكفره، بتوفر الشروط، وانتفاء الموانع في حقه، فإذا توفرت الشروط، وانتفت الموانع، حكم بكفره وردته يستتاب فإن تاب وإلا قتل شرعـاً. وسيأتي مزيد من التوضيح لهذا الضابط بمشيئة الله تعالى عند بيان الفرق بين كفر النوع وكفر العين.

٥ - أن الأصل عدم تكفير كل مخالف لأهل السنة والجماعة، بل ينزل حكمه حسب مخالفته من كفر، أو بدعة أو فسق أو معصية وهذا أصل عظيم من أصول أهل السنة والجماعة بخلاف غيرهم من أهل الأهواء، فان كثيرا منهم يكفِّرون كل من خالفهم.

٦- أن التكفير حكم شرعي لا مدخل للرأي المجرد فيه ، لأنه من المسائل الشرعية لا العقلية ، لذا صار القول فيه من خالص - حق الله تعالى - لا حَقَّ فيه لأحد من عباده، فالكافر من كفره الله تعالى ورسوله ﷺ لا غير .

٧- التحذير الشديد، والنهي الأكيد عن سوء الظن بالمسلم فضلا عن النيل منه فكيف بتكفيره والحكم بردته والتسرع في ذلك بلا حجة ولا برهان من كتاب ولا سنة.

٨ - انطباق هذا الحكم على القائل المعين أو الفاعل المعين، بحيث تتم شروط التكفير أو التفسيق في حقه، وتنتفي الموانع كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

فهذه جملة من الضوابط التي يجب مراعاتها والتنبه لها في هذه المسألة العظيمة التي أدت إلى تفريق كلمة المسلمين.

فينبغي التورع والتثبت في المسألة حيث تورع جمهور العلماء من تكفير من اقتضت النصوص كفره من الخوارج فقد امتنع كثير من الصحابة الكرام ومن جاء بعدهم من أهل العلم من تكفير الخوارج مع ورود النصوص التي تبين أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميه، ويبين الإمام النووي رحمه الله مذهب أهل السنة فيقول: "واعلم أن مذهب أهل الحق أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب ولا يكفر أهل الأهواء والبدع وأن من جحد ما يعلم من دين الإسلام ضرورة حكم بردته وكفره إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة ونحوه ممن يخفى عليه فيعرف ذلك فان استمر حكم بكفره وكذا

حكم من استحل الزنى أو الخمر أو القتل أو غير ذلك من المحرمات التي يعلم تحريمها ضرورة"[1].

خامساً: شروط التكفير.

١- ثبوت أن هذا القول أو الفعل أو الترك كفر بمقتضى دلالة الكتاب والسنة، فإذا لم يثبت أن هذا القول، أو الفعل، أو الترك كفر فلا يحل أن يحكم بأنه كفر لأن ذلك من القول على الله بغير علم وقد قال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

٢- ثبوت قيامه بالمكلف، فلا يحل أن يرمى إنسان بالكفر لمجرد الظن وقد سبق الإشارة إلى ذلك في ضوابط التكفير قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

٣- بلوغ الحجة قال سبحانه: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء:١٥]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٥]، وقال عز وجل: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٥].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فليس لأحد أن يكفر أحدا من المسلمين وإن اخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة، ومن ثبت إيمانه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة"[2].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١/ ١٥٠).
(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٠١).

٤- انتفاء موانع التكفير في حقه وسيأتي الحديث عنها.

٥- العلم فلا بد أن يكون عالماً بمخالفته التي وجب من خلالها إطلاق حكم الكفر عليه. قال سبحانه: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥][١].

سادساً: موانع التكفير.

١ - **الإكراه**: والإكراه هو أن يقع منه الكفر أو الفسق بغير إرادة منه، فمن يكره على الكفر، فيفعله لداعي الإكراه، لا اطمئناناً به، فلا يكفر لقوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرًا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [النحل: ١٠٦].

قال القرطبي رحمه الله: " أجمع أهل العلم على أن من أكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل أنه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان ولا تبين منه زوجته ولا يحكم عليه بحكم الكفر هذا قول مالك والكوفيين والشافعي غير محمد بن الحسن قال: إذا أظهر الشرك كان مرتدا في الظاهر وهو قول مردود بالكتاب والسنة" [٢].

٢ - **ومن موانع التكفير الإغلاق على المرء من شدة الفرح أو الحزن**: فقد يبلغ الفرح أو الحزن بالإنسان درجة لا يستطيع أن يميز فيها ما يقول فيصدر منه قول ظاهره الكفر، دليل ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٣/ ٥٢).
(٢) تفسير القرطبي (١٠/ ١٨٢).

عَلَى رَاحِلَتِه بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِه فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِى وَأَنَا رَبُّكَ. أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ)[١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وفي الحديث من قواعد العلم أن اللفظ الذي يجري على لسان العبد خطأ من فرح شديد أو غيظ شديد ونحوه لا يؤاخذ به، ولهذا لم يكن هذا كافراً بقوله أنت عبدي وأنا ربك"[٢].

٣ - **ومن موانع التكفير العذر بالجهل فيه**: من شروط الإيمان - عند أهل السنة والجماعة - وجود العلم والمعرفة عند الشخص المؤمن به؛ فمن أنكر أمراً من أمور الشرع جاهلاً به، ولم يبلغه ما يوجب العلم بما جهله؛ فإنه لا يكفر؛ حتى لو وقع في مظهر من مظاهر الشرك أو الكفر.

وهذا أصل مجمع عليه فالجهل يعذر الإنسان به لأنه لم يكن يعلم بهذا المكفر قبل إسلامه. أو يعيش في بلد فاش فيه الجهل، أو بعيد عن ديار العلم وأهله، أو نشأ في بلد انقلبت فيه موازين الشرع؛ فصار الشرك فيه هو التوحيد، والبدعة فيه هي السنة، وكثر فيه الانحراف، وزين فيه الباطل والكفر، ولبس عليهم. أو أنه وقع في المكفر وهو غير قاصد له، أو أن هذا المكفر من المسائل الخفية التي لا يطلع عليها إلا العلماء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "المقالة تكون كفرا كجحد وجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج وتحليل الزنا والخمر والميسر ونكاح ذوات المحارم ثم القائل بها قد يكون بحيث لم يبلغه الخطاب وكذا لا يكفر به جاحده كمن هو حديث عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة لم تبلغه شرائع

---

(١) رواه مسلم في كتاب،باب في الحض على التوبة والفرح بها برقم (٧١٣٦)
(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٢٠٩).

الإسلام فهذا لا يحكم بكفره بجحد شيء مما أنزل على الرسول إذا لم يعلم أنه أنزل على الرسول ومقالات الجهمية هي من هذا النوع"[١].

٤ - **ومن موانع التكفير العذر بالخطأ:** اتفق أئمة أهل السنة والجماعة؛ على أن الخطأ من موانع التكفير في المسائل العلمية والعملية، إذا كان اجتهاداً لطلب الحق ومتابعة النبي ﷺ، وغير مقصود لمخالفة الشرع، وقاعدتهم في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب، ٥]، وقول النبي ﷺ: (إِنَّ اللهَ قَدْ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ)[٢].

لأن الله تعالى أمر الناس بطلب الحق على قدر وسعهم وإمكانهم؛ فإن لم يصيبوا الحق في اجتهادهم، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

فالمخطئ حكمه حكم الجاهل والمتأول لا يحكم عليه بكفر إلا بعد قيام الحجة عليه، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: " فالصواب أنه من اجتهد من أمة محمد وقصد الحق فاخطأ لم يكفر بل يغفر له خطأه، ومن تبين له ما جاء به الرسول فشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين فهو كافر، ومن اتبع هواه وقصر في طلب الحق وتكلم بلا علم فهو عاص مذنب ثم قد يكون فاسقا وقد تكون له حسنات ترجح على سيئاته فالتكفير يختلف بحسب اختلاف حال الشخص فليس كل مخطئ ولا مبتدع ولا جاهل ولا ضال يكون كافراً"[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٤).
(٢) رواه ابن ماجة في كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، وصححه الألباني في (صحيح سنن ابن ماجة) ج ١، ص ٣٤٧.
(٣) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٨٠).

٥ - **ومن موانع التكفير التأويل**: اتفق أئمة أهل السنة والجماعة على أن التأويل السائغ - الذي له وجه في العلم واللغة العربية - يعتبر من موانع التكفير؛ إذا كان سببه القصور في فهم الأدلة الشرعية، أو الاستناد إلى الشبه التي تصرف عن اتباع الحق دون تعمد للمخالفة، أو المعارضة، أو التكذيب، أو الرد، أو العناد؛ بل اعتقاد العكس بأن الحق معه والتزامه بذلك.

وهذا النوع من المتأول إذا أخطأ، وكان من أهل الإيمان؛ فهو معذور حتى تقام عليه الحجة، وتزول عنه الشبهة.

فإذا كان الرجل لم تبلغه النصوص لمعرفة الحق، أو لم تثبت عنده، أو عجز عن فهمها فهماً صحيحاً، أو عرضت له شبهة فقال متأولاً قولاً كفرياً، أو عمل عملاً يوجب الردة فإنه يعذر ولا يكفر، إلا بعد قيام الحجة عليه وإظهار خطئه في هذا التأويل، وإعلامه بالحق فإن تمادى فإنه يكون جاحداً ومعانداً فيحكم بكفره. يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله بها فمن كان من المؤمنين مجتهدا في طلب الحق وأخطأ فان الله يغفر له خطأه كائنا ما كان سواء كان في المسائل النظرية أو العملية هذا الذي عليه أصحاب النبي ﷺ وجماهير أئمة الإسلام"[(١)].

(١) مجموع الفتاوى (٢٣/ ٣٤٦).وانظر تفاصيل موانع التكفير في كتاب الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، عبد الله بن عبد الحميد الأثري ص (١٤٥).

سابعـًا: الفرق بين تكفير المطلق وتكفير المعين.

يُفرِّق أهل السنة بين تكفير المطلق وتكفير المعين، ففي الأول يُطلق القول بتكفير صاحبه - الذي تلبّس بالكفر - فيُقال: من قال كذا، أو فعل كذا، فهو كافر، ولكن الشخص المُعيّن الذي قاله أو فعله لا يُحكم بكُفره إطلاقًا حتى تجتمع فيه الشروط، وتنتفي عنه الموانع، فعندئذ تقوم عليه الحُجّة التي يكفر تاركها.

فقد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده، ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون قد عرضت عليه شبهات يعذره الله بها، فمن كان من المؤمنين مُجتهدًا في طلب الحق وأخطأ، فإن الله يغفر له خطاياه كائنًا من كان، سواء كان في المسائل النظرية أو العملية، هذا الذي عليه أصحاب النبي ﷺ، وجماهير أئمة الإسلام[1].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٣/٣٢٦)

المبحث السابع: عقيدة المسلم في الصحابة وأمهات المؤمنين

أولاً: ذكر فضائلهم وشمائلهم من الكتاب والسنة:

أ- ذكر فضائلهم وشمائلهم من القرآن الكريم.

لقد تواترت نصوص الكتاب العزيز في أكثر من موضع ببيان فضائل الصحابة الكرام ومن هذه النصوص:

١- قال الله تبارك وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٢-١٧٣].

فقد اشتملت هذه الآية على مدح عظيم للصحابة بقوة الإيمان والصبر على البلاء وتفويض كل الأمور باللجوء إلى الله تعالى، وعلى وعده تعالى للمحسنين المتقين منهم بالثواب العظيم، وقد فعلوا ما وعدهم بالثواب عليه؛ ولا خلاف بين العلماء أن الذين استجابوا لله والرسول هم المهاجرون والأنصار الذين حضروا معه وقعة أحد، أجابوا في ثاني يومها حين دعاهم إلى الخروج وراء قريش.[1].

٢- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ.. ﴾، إلى قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧٢-٧٤].

---

(١) إتحاف ذوى النجابة (٣٦)، ومحاسن التأويل (٨/ ٢٠٢).

وجه الدلالة من الآية أن الموصوفون بهذه الصفات الثلاث التي هي الإيمان والهجرة والجهاد هم المهاجرون الأولون الذين تركوا ديارهم وأموالهم وأولادهم إيثاراً لله ولرسوله من أجل إعلاء كلمة الله، وإظهار الدين الإسلامي الحنيف على سائر الأديان،والموصوفون في الآية نفسها بالإيواء والنصرة هم الأنصار الذين هم الأوس والخزرج فإنهم آووا الرسول وأصحابه المهاجرين في منازلهم ونصروا نبي الله ﷺ لمقاتلة أعداء الدين وقد أخبر سبحانه أنه سيجازيهم بالمغفرة والصفح عن ذنوبهم إن وجدت وبالرزق الكريم وهو الحسن الكثير الطيب الشريف الدائم الأبدي المستمر الذي لا ينقطع ولا ينقص، ولا يسأم ولا يمل لتنوعه وحسنه.

٣ - قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وجه الدلالة من الآية أنها اشتملت على أبلغ الثناء من الله تعالى على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان حيث أخبر تعالى أنه رضي عنهم ورضوا عنه بما أكرمهم الله به من جنات النعيم.

٤ - قال تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٧].

وجه الدلالة من الآية ثناء آخر من الله تعالى على النبي الكريم ﷺ وصحبه الأكرمين من المهاجرين والأنصار ألا وهو إخباره تعالى أنه من لطفه وإحسانه أن تاب عليهم فغفر لهم الزلات ووفر لهم الحسنات ورقاهم إلى أعلى الدرجات وذلك بسبب قيامهم بالأعمال الصعبة الشاقة.

٥ - قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ [النمل: ٥٩].

قال ابن جرير الطبري: "... الذين اصطفاهم يقول: الذين اجتباهم لنبيه محمد ﷺ فجعلهم أصحابه ووزراءه على الدين الذي بعثه بالدعاء إليه دون المشركين به الجاحدين نبوة نبيه. ثم ذكر بإسناده إلى ابن عباس في قوله: {وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى} قال: أصحاب محمد اصطفاهم الله لنبيه".

٦ - قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الزمر:٣٣-٣٥]، يقول شيخ الإسلام رحمه الله «والصحابة الذين كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن القرآن حق هم أفضل من جاء بالصدق وصدق به بعد الأنبياء»[1].

٧ - قال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩]. وجه الدلالة من الآية أنه تضمنت الثناء على سائر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. فذكر تعالى أن من صفاتهم الشدة والغلظة على أهل الكفر، كما وصفهم بالتراحم والتعاطف فيما بينهم، ووصفهم بأنهم يكثرون من الأعمال الصالحة المقرونة بالإخلاص وسعة الرجاء، وفي مقدمة تلك الأعمال الصالحة إكثارهم من الصلاة ابتغاء الحصول على فضل من الله ورضوان.

---

(١) إتحاف ذوى النجابة (٣٦)، ومحاسن التأويل (٨/ ٢٠٢).

فهذه الآيات نصوص واضحة الدلالة وصريحة في مناقب الصحابة رضي الله عنهم.

ب - ذكر فضائلهم وشمائلهم من السنة النبوية.

لقد ورد الثناء في السنة النبوية على الصحابة رضي الله عنهم على وجه عام في أحاديث كثيرة مستفيضة ومتواترة منها الصحيح ومنها الحسن ومن ذلك ما يلي:

١ - عَنْ سَعِيد بْن أَبِى بُرْدَةَ عَنْ أَبِى بُرْدَةَ عَنْ أَبِيه قَالَ صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ ثُمَّ قُلْنَا لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّىَ مَعَهُ الْعِشَاءَ - قَالَ - فَجَلَسْنَا فَخَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ: (مَا زِلْتُمْ هَا هُنَا). قُلْنَا يَا رَسُولَ الله صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ ثُمَّ قُلْنَا نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّىَ مَعَكَ الْعِشَاءَ قَالَ: (أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ). قَالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: (النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ)[١].

قال النووي: "ومعنى الحديث أن النجوم ما دامت باقية فالسماء باقية فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة وهنت السماء فانفطرت وانشقت وذهبت. وقوله ﷺ: (وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون) أي: من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحاً وقد وقع كل ذلك، قوله ﷺ: (وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون) معناه: من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك وهذه كلها من معجزاته ﷺ"[٢].

---

(١) رِواه مسلِم فِي كِتاب فضائل الصحابة، باب بَيَانِ أَنَّ بَقَاءَ النَّبِيِّ ﷺ أَمَانٌ لأَصْحَابِهِ وَبَقَاءَ أَصْحَابِه أَمَانٌ لِلأُمَّةِ (٦٦٢٩).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ٨٣).

فهذا الحديث تضمن فضيلة الصحابة رضي الله عنهم على وجه عام كما اشتمل على بيان منزلتهم ومكانتهم العالية في الأمة، وأنهم في الأمة بمنزلة النجوم من السماء.

٢- وعَنْ أَبى سَعِيد الْخُدْري رضي الله عنه عَنِ النَّبي ﷺ قَالَ: (يَأْتِي عَلَى النَّاس زَمَانٌ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاس فَيُقَالُ لَهُمْ فِيكُمْ مَنْ رَأَى رَسُولَ الله ﷺ فَيَقُولُونَ. نَعَمْ فَيُفْتَحُ لَهُمْ ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاس فَيُقَالُ لَهُمْ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ رَسُولَ الله ﷺ فَيَقُولُونَ نَعَمْ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاس فَيُقَالُ لَهُمْ هَلْ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ الله ﷺ فَيَقُولُونَ نَعَمْ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ)(١).

قال الإمام النووي: "وفي هذا الحديث معجزات لرسول الله ﷺ وفضل الصحابة والتابعين وتابعيهم"(٢).

٣- عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ: أَيُّ النَّاس خَيْرٌ؟ قَالَ: (قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَبْدُرُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَتَبْدُرُ يَمِينُهُ شَهَادَتَهُ)(٣).

قال النووي: "اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه ﷺ، والمراد أصحابه"(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "واتَّفقت الروايات على ذِكر الصحابة والتابعين وتابعيهم، وهم القرون الثلاثة"(٥).

---

(١) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فَضْلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ (٦٦٣٠).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ٨٣)، وانظر: عمدة القاري للعيني (١٤/ ١٨٠).

(٣) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فَضْلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ (٦٦٣٣).

(٤) شرح صحيح مسلم النووي (١٦/ ٨٤).

(٥) منهاج السنة (٨/ ٣٨٤).

٤ - وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ..)[1].

وفي هذا الحديث دلالة واضحة على فضل الصحابة حيث لا يدركهم أحد في فضلهم وعملهم بل إن القليل من عملهم لا يوازيه عمل غيرهم مهما بلغ من الكثرة ومهما صاحبه من إخلاص وصدق ويقين وإيمان وذلك فضله تعالى يؤتيه من يشاء. روى ابن بطة بالإسناد الصحيح كما في منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "لا تسبوا أصحاب محمد فلمقام أحدهم ساعة مع النبي ﷺ خير من عمل أحدكم أربعين سنة"، وفي رواية: "وكيع خير من عبادة أحدكم عمره"[2].

قال الإمام الخطابي رحمه الله: "والمعنى أن جهد المقل منهم واليسير من النفقة الذي أنفقوه في سبيل الله مع شدة العيش والضيق الذي كانوا فيه أوفى عند الله وأزكى من الكثير الذي ينفقه من بعدهم"[3].

والحاصل أن الأحاديث الواردة في فضلهم كثيرة ومشهورة.

ثانيًا: حقوق الصحابة علينا.

١ - وجوب محبة أصحاب رسول الله ﷺ.

محبة أصحاب رسول الله ﷺ وتعظيمهم وتوقيرهم وتكريمهم واجب من واجبات الدين وذلك لما شرفهم الله به من صحبة رسول الله ﷺ والجهاد معه لنصرة دين الإسلام، وصبرهم على أذى المشركين والمنافقين، والهجرة عن أوطانهم وأموالهم وتقديم حب الله ورسوله ﷺ على ذلك كله.

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذا خليلا (٣٦٧٣)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم (٢٥٤١).

(٢) منهاج السنة (١/ ١٥٤).

(٣) معالم السنن (٤/ ٣٠٨).

٢ - الدعاء والاستغفار لهم.

ومن حقوق الصحابة رضي الله عنهم الدعاء لهم والاستغفار والترحم عليهم، لما لهم من القدر العظيم، ولما حازوه من المناقب الحميدة، والسوابق القديمة، والمحاسن المشهورة، ولما لهم من الفضل الكبير على كل من أتى بعدهم، فهم الذين نقلوا إلى من بعدهم الدين الحنيف الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، ففضلهم مستمر على كل مسلم جاء بعدهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد ندب الله جل وعلا كل من جاء بعدهم من أهل الإيمان إلى أن يدعو لهم، ويترحم عليهم، وأثنى على من استجاب منهم لذلك بقوله جل وعلا ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

٣ - الشهادة لمن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة منهم.

ومن حقوق الصحابة رضي الله عنهم الشهادة لمن شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة من الصحابة الكرام رضي الله عنهم فهناك أشخاص أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنهم من أهل الجنة كالعشرة من المهاجرين فقد سماهم بأعيانهم وبشرهم بالجنة، وهناك آخرون أخبر ببعض النعيم المعد لهم في الجنة، وكل ذلك شهادة منه صلى الله عليه وسلم لهم بالجنة.

٤ - إثبات عدالتهم رضي الله عنهم.

ومن حقوق الصحابة رضي الله عنهم اعتقاد عدالتهم وذلك لتضافر الأدلة من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعديل الصحابة الكرام رضي الله عنهم، مما لا يبقى معها شك لمرتاب في تحقيق عدالتهم، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤].

ففي هذه الآية وصف الله تعالى عموم المهاجرين والأنصار بالإيمان الحق ومن شهد الله له بهذه الشهادة فقد بلغ أعلى مرتبة العدالة.

ومن ذلك أيضاً: وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ووجه دلالة هذه الآية على عدالتهم رضي الله عنهم أن الله تعالى أخبر فيها برضاه عنهم ولا يثبت الله رضاه إلا لمن كان أهلاً للرضا، ولا توجد الأهلية لذلك إلا لمن كان من أهل الاستقامة في أموره كلها عدلاً في دينه.

ومن أثنى الله تعالى عليه بهذا الثناء كيف لا يكون عدلاً وإذا كان التعديل يثبت بقول اثنين من الناس فكيف لا تثبت عدالة صفوة الخلق وخيارهم بهذا الثناء الصادر من رب العالمين.

٥ - تحريم سبهم رضي الله عنهم.

ومن حقوق الصحابة رضي الله عنهم سلامة القلوب والألسن لأصحاب رسول اللّه ﷺ، والتبرأ من طريقة أهل البدع الذين يسبون الصحابة رضي الله عنهم ويبغضونهم ويجحدون فضائلهم ويكفرون أكثرهم. وذلك لأن سبهم وازدراءهم والتنقص من مكانتهم الرفيعة التي أنزلهم الله فيها إنما هو من البهت لهم بما ليس فيهم، فكل من عابهم وطعن فيهم أو في أحد منهم كل ذلك من البهتان المبين ومن الوقوع في أعراضهم الذي يعد من أربى الربا عند الله جل وعلا.

٦ - السكوت عما شجر بينهم.

معنى الإمساك عما شجر بين الصحابة، هو عدم الخوض فيما وقع بينهم من الحروب والخلافات على سبيل التوسع وتتبع التفصيلات، ونشر ذلك بين العامة، أو التعرض لهم بالتنقص لفئة والانتصار لأخرى.

ومذهب أهل السنة الفرقة الناجية الإعراض عما شجر بين الصحابة، وعدم الدخول فيه في شيء، لأنها أمورٌ وقعت وانتهت فيقال: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة:١٣٤]، فلا فائدة في الدخول في ذلك، هذا في الجملة، وأما إذا قيل: لابد من النظر، فالنظر أن نقول مثلما قال الرسول ﷺ: (أنه يمرق مارقة على حين اختلافٍ من المسلمين يقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق)، وهذا يدلنا على أن الطائفتين كلاهما معه شيءٌ من الحق، ولكن أقربهما إلى الحق علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم الذين أخطئوا معذورون باجتهادهم.

أما ما يروى في كتب التاريخ من الأشياء الكثيرة، فكتب التاريخ وللأسف غالب رواتها إن لم يكونوا كلهم من أهل البدع، ففيها مزيد وفيها منقوص، وفيها محرف عن وجهه، فإذا جاءت هذه الأمور لا يجوز أخذها على القبول، بل يجب أن تمحص وينظر فيها إلى السند هل هو ثابت أو غير ثابت؟ فإن لم يثبت فلا يجوز أن نثبته، وإذا كان ثابتاً فينظر ما وجهه، ووجهه لا يخلو إما أن يكون صاحبه مجتهداً مخطئاً، أو مجتهداً مصيباً، والمجتهد المخطئ له أجرٌ، وخطؤه مغفور، وإذا كان مصيباً فله أجران، هذه عقيدة أهل السنة في الصحابة رضوان الله عليهم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وكذلك نؤمن بالإمساك عما شجر بينهم، ونعلم أن بعض المنقول في ذلك كذب وهم كانوا مجتهدين، إما مصيبين لهم أجران

أو مثابين على عملهم الصالح مغفور لهم خطؤهم، وما كان لهم من السيئات، وقد سبق لهم من الله الحسنى، فإن الله يغفر لهم إما بتوبة أو بحسنات ماحية أو مصائب مكفرة"[١].

وما شجر بينهم من خلاف فقد كانوا رضي الله عنهم يطلبون فيه الحق ويدافعون فيه عن الحق، فاختلفت فيه اجتهاداتهم، ولكنهم عند الله عز وجل من العدول المرضي عنهم، ومن هنا كان منهج أهل السنة والجماعة هو حفظ اللسان عما شجر بينهم، فلا نقول عنهم إلا خيراً ونتأول ونحاول أن نجد الأعذار للمخطئ منهم ولا نطعن في نيّاتهم فهي عند الله وقد أفضوا إلى ما قدموا، فنترضى عنهم جميعاً ونترحم عليهم ونحرص على أن تكون القلوب سليمة تجاههم.

ثالثـاً: حكم من سب الصحابة أو أبغضهم.

السب: هو الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف، وهو ما يفهم من السب في عقول الناس على اختلاف اعتقاداتهم كاللعن والتقبيح ونحوه. وسب الصحابة رضوان الله عليهم دركات بعضها شر من بعض، فمن سب بالكفر أو الفسق، ومن سب بأمور دنيوية كالبخل وضعف الرأي، وهذا السب إما أن يكون لجميعهم أو أكثرهم، أو يكون لبعضهم أو لفرد منهم، وهذا الفرد إما أن يكون مما تواترت النصوص بفضله أو دون ذلك. وإليك تفصيل وبيان أحكام كل قسم:

الأول: أن يسبهم بما يقتضي كفر أكثرهم، أو أن عامتهم فسقوا، فهذا كفر، لأنه تكذيب لله ورسوله بالثناء عليهم والترضي عنهم، بل من شك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين، وذلك لأمور منها:

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٤٠٦).

أ- أن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق، وبذلك يقع الشك في القرآن والأحاديث لأن الطعن في النقلة طعن في المنقول.

ب- لأن في ذلك إيذاءً له ﷺ لأنهم أصحابه وخاصته فسب أصحاب المرء وخاصته والطعن فيهم يؤذيه ولا شك، وأذى الرسول ﷺ كفر كما هو مقرر.

ج- أن في هذا تكذيباً لما نص عليه القرآن من الرضا عنهم والثناء عليهم فالعلم الحاصل من نصوص القرآن والأحاديث الدالة على فضلهم قطعي، ومن أنكر ما هو قطعي فقد كفر. قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً حكم هذا القسم: ".. وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً أو أنهم فسقوا عامتهم فهذا لا ريب أيضاً في كفره لأنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضى عنهم والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين.. إلى أن قال:... وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام"[(١)].

الثاني: أن يسبهم باللعن والتقبيح، ففي كفره قولان لأهل العلم وعلى القول بأنه لا يكفر يجب أن يجلد ويحبس حتى يموت أو يرجع عما قال.

الثالث: أن يسبهم بما لا يقدح في دينهم كالجبن والبخل فلا يكفر ولكن يعزر بما يردعه عن ذلك، ذكر معنى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب "الصارم المسلول" ونقل عن أحمد قوله: "لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب أو نقص، فمن فعل ذلك أدب، فإن تاب وإلا جلد في الحبس حتى يموت أو يرجع"[(٢)].

---

(١) الصارم المسلول: ص (٥٩١، ٥٩٢)

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص (٥٧٣)، وانظر شرح لمعة الاعتقاد لشيخنا محمد بن صالح العثيمين، ص (٥٠).



﴿المبحث الثامن: عقيدة المسلم في آل البيت﴾

أولاً: المقصود بآل البيت:

المقصود بآل بيت النبي ﷺ هم بنو هاشم، وبنو المطلب. لقوله ﷺ: (إنما بنو المطلب، وبنو هاشم شيء واحد) رواه البخاري.

ومن أهل بيته أَزواجه رضي الله عنهن وهن أُمهات المؤمنين بنص القرآن، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٣٢، ٣٣].

قال ابن كثير رحمه الله: "وهذا نص في دخول أزواج النبي ﷺ من أهل البيت ههنا، لأنهن سبب نزول هذه الآية، وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً، إما وحده على قول، أو مع غيره على الصحيح.

وكان عكرمة ينادي في الأسواق: «(إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)، نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة»، وكان يقول: "من شاء باهلته أنها في شأن نساء النبي ﷺ".

وتحرم الصدقة على أزواج النبي ﷺ، كما تحرم على بني هاشم وبني المطلب"[1].

---

(١) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن كثير (٣/ ٥٨٤)

ثانيًا: مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في آل البيت.

١- أهل السنة يوجبون محبة أهل بيت النبي ﷺ، ويجعلون ذلك من محبة النبي عليه الصلاة والسلام، ويتولونهم جميعًا، لا كأهل البدع الذين يتولون البعض، ويفسقون البعض الآخر.

٢- أهل السنة يعرفون ما يجب لهم من الحقوق؛ فإن الله جعل لهم حقًا في الخمس والفيء، وأمر بالصلاة عليهم تبعًا للصلاة على النبي ﷺ.

٣- أهل السنة يتبرؤون من طريقة أهل البدع الذين غلوا في بعض أهل البيت غلواً مفرطًا، ومن طريقة النواصب الذين يؤذونهم ويبغضونهم، فأهل السنة متفقون على وجوب محبة أهل البيت، وتحريم إيذائهم أو الإساءة إليهم بقول أو فعل، وكتب أهل السنة ولله الحمد والمنة مليئة وزاخرة بذكر مناقب أهل البيت.

٤- أهل السنة يتولون أزواج النبي ﷺ ويترضون عنهن، ويعرفون لهن حقوقهن، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة.

٥- أهل السنة لا يخرجون في وصف آل البيت عن الحدود الشرعية، فلا يغالون في أوصافهم، ولا يعتقدون عصمتهم، بل يعتقدون أنهم بشر تقع منهم الذنوب كما تقع من غيرهم.

٦- أهل السنة يعتقدون أن أهل البيت ليس فيهم مغفور الذنب، بل فيهم البر والفاجر، والصالح والطالح.

٧- أهل السنة يعتقدون أن القول بفضيلة أهل البيت لا يعني تفضيلهم في جميع الأحوال، وعلى كل الأشخاص، بل قد يوجد من غيرهم من هو أفضل منهم لاعتبارات أخرى.

﴿ المبحث التاسع: الشفاعة ﴾

أولاً: حقيقة الشفاعة:

الشفاعةُ: معناها: سؤال التجاوز عن الذنوب والآثام.

وأهل السنة والجماعة يثبتون الشفاعة للنبي ﷺ ولغيره من الأنبياء والملائكة والشهداء وصالحي المؤمنين، حسبما وردت به الأدلة في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ مع نفي الشفاعة التي نفتها الأدلة من الكتاب والسنة.

ثانيًا: أدلة الشفاعة:

استدل أهل السنة على ثبوت الشفاعة بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة منها:

١ـ قوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦].

٢ـ وقال تعالى: ﴿ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴾ [طه:١٠٩].

٣ـ وقال تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ومن السنة:

١ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل، قال رسول الله ﷺ: (أَنَا سَيِّدُ النَّاس يَوْمَ الْقِيَامَة وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخرِينَ فِي صَعِيد وَاحد....)، إلى أن قال: (... اذهَبُوا إِلَى مُحَمَّد فَيَأْتُون مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ الله وَخَاتمُ الأَنْبِيَاء وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِك وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْش

فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي..)[1].

٢ـ وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا)[2].

٣ـ وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا)[3].

٤ـ وحديث عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ)[4].

ثالثا: شروط الشفاعة:

دلت الأدلة على أن الشفاعة في الآخرة لا تقع إلا بشروط هي :

١ - **رضا الله عن المشفوع له:** لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]؛ ذلك لأن الناس تتفاوت مواقفهم تجاه قضية الإيمان، فكانت الشفاعة محصورة في أهل التوحيد، والله تعالى لا يرضى لعباده الكفر: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر:٧]، وقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ

---

(١) رواه البخاري ـ كتاب تفسير القرآن ـ باب قوله تعالى: (ذرية من حملنا مع نوح)(٤٣٤٣)، ومسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب أدنى أهل الجنة منزلا (٢٨٧).

(٢) رواه مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم «أنا أول الناس يشفع»(٢٨٩).

(٣) رواه مسلم ـ كتاب الإيمان ـ اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته (٢٩٦).

(٤) رواه البخاري ـ كتاب الرقاق ـ باب صفة الجنة والنار (٦٠٨١).

الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا الله خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ)(١).

لكن هناك استثناء مخصوص في حق النبي ﷺ، فقد جاءت النصوص مفيدةً بأن الله سوف يقبل شفاعته في عمه أبي طالب جزاءً له على ما كان يحوط به النبي ﷺ من الرعاية في صغيره، والحماية في كبره، لكنها ليست شفاعة مطلقة بل هي تخفيف جزئيٌّ من العذاب الخالد السرمدي في جهنم.

٢ - **رضا الله عن الشافع:** فلا بد أن يكون الشافع أهلاً لقيامه بهذه الشفاعة، وهذا يستلزم بطبيعة الحال أن يكون من أهل الاستقامة والصلاح والتقوى، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم:٢٦]، وقال سبحانه: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ [طه:١٠٩].

٣ - **إذن الله بالشفاعة:** وذلك لأن الشفاعة ملك لله، فليس لأحد أن يشفع دون إذنه ورضاه، كما جاء في آية الكرسي﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، أي: لا أحد يشفع عنده دون إذنه عزّ وجل، فالشفاعة كلها له وحده، كذلك قوله سبحانه: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزمر:٤٤].

---

(١) رواه البخاري في كتاب العلم، باب الحرص على الحديث (٩٩).

رابعـًا : أنواع الشفاعة:

النوع الأول: المثبتة.

وهي التي أثبتها الله تعالى في كتابه، أو أثبتها رسوله ﷺ ولا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص.

وهذا النوع ينقسم إلى قسمين:

الأول: ما اختص به الرسول ﷺ وهي:

١. الشفاعة العظمى في الخلائق كلهم ليخلصوا من هول الموقف، وليقضى بينهم حين يقف الناس خاضعين أمام خالقهم ويطلبون من الأنبياء أن يشفعوا لهم إلى الله في تخليصهم من كربات هذا اليوم العظيم وينتهي السؤال إليه ﷺ فيقول: (أنا لها..).

٢. شفاعته ﷺ لأهل الجنة ليدخلوها بعد الفراغ من حسابهم.

٣. شفاعته ﷺ لتخفيف العذاب عن عمه أبي طالب، وهي خاصة في أبي طالب دون غيره لما كان يقوم به من حمايته والدفاع عنه، حيث يشفع له.

٤. الشفاعة لأهل الكبائر من أمته ﷺ، فذلك حينما يمر الناس على الصراط على قدر أعمالهم؛ فتأخذ الكلاليب الموضوعة على جنبتي الصراط من أمرت بأخذه من أهل الكبائر من أمة النبي ﷺ فيشفع لهم ﷺ.

٦. الشفاعة في رفع درجات بعض المؤمنين من أهل الجنة، كما دعا لأبي سلمة حينما قبض الله روحه.

٧. الشفاعة في دخول بعض المؤمنين الجنة من غير حساب ولا عقاب، مثل عكاشة بن محصن، حيث دعا له أن يكون من السبعين ألفـًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب.

٨. شفاعة الرسول ﷺ لمن سكن في المدينة المنورة ومات بها.

القسم الثاني: الشفاعة العامة:

ومعناها أن الله سبحانه وتعالى يأذن لمن شاء من عباده الصالحين أن يشفعوا لمن أذن الله لهم بالشفاعة فيهم، وهذه الشفاعة ثابتة للنبي ﷺ ولغيره من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين ومن أمثلة ذلك:

١ - الشفاعة لأناس قد دخلوا النار في أن يخرجوا منها .

٢ - الشفاعة لأناس قد استحقوا النار في أن لا يدخلوها.

٣ - الشفاعة لأناس من أهل الإيمان قد استحقوا الجنة أن يزدادوا رفعة ودرجات في الجنة .

النوع الثاني: الشفاعة المنفية.

وهي الشفاعة الباطلة التي لا تنفع أصحابها، وهي ما يدَّعيه المشركون من شفاعة آلهتهم لهم عند الله عز وجل، فإن هذه الشفاعة لا تنفعهم كما قال الله تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدَّثِّر : ٤٨]، وذلك لأن الله تعالى لا يرضى لهؤلاء المشركين شركهم، ولا يمكن أن يأذن بالشفاعة لهم؛ لأنه لا شفاعة إلا لمن ارتضاه الله عز وجل والله لا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد، فتعلق المشركين بآلهتهم يعبدونها ويقولون: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس : ١٨] تعلقٌ باطلٌ غير نافع، بل هذا لا يزيدهم من الله تعالى إلا بُعداً، على أن المشركين يرجون شفاعة أصنامهم بوسيلة باطلة وهي عبادة هذه الأصنام، وهذا من سفههم أن يحاولوا التقرب إلى الله تعالى بما لا يزيدهم منه إلا بعداً.



المبحث العاشر: التوسل

أولاً : تعريف التوسل:

أ- معنى التوسل في اللغة:

التوسل: مصدر توسل يتوسل أي اتخذ وسيلة توصله إلى مقصوده؛ فأصله طلب الوصول إلى الغاية المقصودة.

ب- معنى التوسل في الشرع :

هو اتخاذ وسيلة إلى الله تعالى لإجابة الدعاء وتحقيق المطلوب.

ثانيًا : أقسام التوسل وحكمها: ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: التوسل المشروع. وهو ما كان بوسيلة ثبتت بها الأدلة ومنه:

١ - التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى، أو صفة من صفاته العليا:
كأن يقول المسلم في دعائه: اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم، اللطيف الخبير أن تعافيني.

أو يقول: أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن ترحمني وتغفر لي. ومثله قول القائل: اللهم إني أسألك بحبك لمحمد ﷺ. فإن الحب من صفاته تعالى.

ودليل مشروعية هذا التوسل قوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، والمعنى: ادعوا الله تعالى متوسلين إليه بأسمائه الحسنى. ولا شك أن صفاته العليا عز وجل داخلة في هذا الطلب، لأن أسماءه الحسنى سبحانه صفات له، خصت به تبارك وتعالى.

٢ ـ **التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به الداعي**: كأن يقول المسلم: اللهم بإيماني بك، ومحبتي لك، واتباعي لرسولك اغفر لي.. أو يقول: اللهم إني أسألك بحبي لمحمد ﷺ وإيماني به أن تفرج عني.. ومنه أن يذكر الداعي عملاً صالحاً ذا بال، فيه خوفه من الله سبحانه، وتقواه إياه، وإيثاره رضاه على كل شيء، وطاعته له جل شأنه، ثم يتوسل به إلى ربه في دعائه، ليكون أرجى لقبوله وإجابته.

٣ - **التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح**: كأن يقول المسلم في ضيق شديد، أو تحل به مصيبة كبيرة، ويعلم من نفسه التفريط في جنب الله تبارك وتعالى، فيجب أن يأخذ بسبب قوي إلى الله، فيذهب إلى رجل يعتقد فيه الصلاح والتقوى، أو الفضل والعلم بالكتاب والسنة، فيطلب منه أن يدعو له ربه، ليفرج عنه كربه، ويزيل عنه همه. فهذا نوع آخر من التوسل المشروع، دلت عليه الشريعة المطهرة، وأرشدت إليه.

القسم الثاني: التوسل الممنوع.

وهو التوسل إلى الله بما ليس عليه دليل شرعي من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ وهو أنواع:

١ - **التوسل إلى الله بجاه شخص له مكانة ومنزلة وجاه عند الله**: فهذا غير مشروع لعدم ورود الدليل عليه حتى ولو كان رسول الله ﷺ وفرق بين أن يتوسل العبد بإيمانه برسول الله أو يتوسل بجاه رسول الله فالأول مشروع والثاني ممنوع.

٢ - **التوسل إلى الله بدعاء ميت**: لا يمكن أن ينفع نفسه فكيف ينفع غيره وهذا من الحمق والسفه فإذا كان رسول الله لا يمكن أن ينفع أحداً بعد موته

فكيف بغيره ثم إن الميت حيل بينه وبين العمل فلا يمكن أن يعمل حسنة واحدة فكيف يدعو لغيره أو ينفع غيره.

٣ - **التوسل بدعاء الأصنام والأولياء والقبور**: وهذا توسل شركي مخرج من الملة وهو ما كان عليه عمل أهل الجاهلية، قال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزُّمَر:٣].



المبحث الحادي عشر: أحكام النذور

أولاً: تعريف النذر.

النذر لغة: الإيجاب، تقول: نذرت كذا إذا أوجبته على نفسك.

وشرعاً: إلزام مكلف مختار نفسه شيئاً لله تعالى.

ثانياً: حكم النذر.

حكم النذر ابتداءً مكروه غير مستحب؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نهى عن النذر وقال: "إنه لا يردُّ شيئاً وإنما يستخرج به من الشحيح"[(١)]، ولأن الناذر يلزم نفسه بشيء لا يلزمه في أصل الشرع، فيحرج نفسه، ويثقلها بذلك، ولأنه مطلوب من المسلم فعل الخير بلا نذر.

إلا أنه إذا نذر فعل طاعة وجب عليه الوفاء به؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠]، وقوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]، ولحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: "من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه"[(٢)].

فقد مدح الله عز وجل الموفين بالنذر وأثنى عليهم، وأمر ﷺ بالوفاء به، فدل ذلك على أن النهي المتقدم عن النبي ﷺ إنما هو للكراهة لا للتحريم، وأن المنهي عنه والمكروه هو ابتداء النذر والدخول فيه، وأما الوفاء به، وإنجازه لمن لزمه فواجب، وطاعة لله سبحانه. والنذر نوع من أنواع العبادة لا يجوز صرفه لغير الله تعالى، فمن نذر لقبر أو وليٍّ ونحوه، فقد أشرك بالله تعالى شركاً أكبر، والعياذ بالله.

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٦٩٢)، ومسلم برقم (١٦٣٩)، واللفظ له.
(٢) رواه البخاري برقم (٦٦٩٦).

ثالثًا: أقسام النذر من حيث الصحة والفساد.

ينقسم النذر باعتبار صحته وعدم صحته إلى: صحيح وغير صحيح، أو جائز وممنوع، أو منعقد وغير منعقد.

فيكون النذر صحيحًا منعقداً واجب الوفاء: إذا كان طاعة وقربة، يتقرب بها الناذر إلى الله تعالى.

ويكون غير صحيح ولا منعقد ولا واجب الوفاء: إذا كان معصية لله تعالى؛ كالنذر للقبور والأولياء أو الأنبياء، أو نذر أن يقتل، أو أن يشرب الخمر، ونحو ذلك من المعاصي، فإن هذا النذر لا ينعقد، ويحرم الوفاء به. لحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: "ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه"[1].

رابعًا: صور من النذر الذي لا يجوز الوفاء به.

إن النذر الذي لا يجوز الوفاء به هو نذر المعصية وهذا يتحقق في صور، منها:

١- نذر شرب الخمر أو صوم أيام الحيض؛ لحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: "ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه".

٢- النذر الذي يقع للأموات كأن يقول: يا سيدي فلان، إن رد غائبي، أو عوفي مريضي، أو قضيت حاجتي، فلك من النقد أو الطعام أو الشمع أو الزيت كذا وكذا. فهذا باطل، وهو شرك أكبر والعياذ بالله؛ لأنه نذر للمخلوق، وهو لا يجوز؛ لأن النذر عبادة، وهي لا تكون إلا لله.

٣- إذا نذر أن يسرج قبراً، أو شجرة، لم يجز الوفاء به، ويصرف قيمة ذلك للمصالح؛ لأنه معصية، ولا نذر في معصية؛ للحديث المتقدم.

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٦٩٦).

المبحث الثاني عشر: السحر

أولاً: تعريف السحر في اللغة والاصطلاح:

أ - **السحر في اللغة**: تطلق مادة - س ح ر - عند علماء اللغة على معان جمّة، تبعـاً لورود استعمالها في الوضع الذي وقع فيه التخاطب ومنها: التمويه بالحيل والخداع والخفاء والاستمالة واللطافة(١). فهو عبارة عما لطف أمره وخفي سببه، ومنه قوله ﷺ: «إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا..»(٢)، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦]، أي أخفوا عنهم عملهم.

ب - **تعريف السحر في الاصطلاح**: السحر عُقَدٌ وَرُقَى وكلامٌ يتكلمُ به الساحر أو يكتبه أو يعمل شيئًا، فيؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له، وله حقيقة فمنه ما يقتل وما يمرض وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه وما يبغض أحدهما إلى الآخر، أو يحبب بين اثنين(٣).

ثانيـًا: أنواع السحر.

قسم العلماء السحر إلى أنواع، منها:

١. ما يقع بخداع وتمويه فيحدث تخيلات لا حقيقة لها وهو ما يفعله المشعوذون بحذق ومهارة وخفة وسرعة مع طول المران والتدريب فيسحرون الأنظار عما يتعاطونه بشعوذتهم وهو السيمياء، قال تعالى: ﴿قَالَ أَلْقُواْۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ

---

(١) انظر: غريب القرآن للأصفهاني: ص (٢٢٦)، الجوهري (٥/ ٦٧٨).
(٢) رواه البخاري في كتاب الطب، باب: إن من البيان سحرا (٥٧٦٧) من حديث ابن عمر.
(٣) المغني لابن قدامة (٨/ ١٥٠).

عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف:١١٦]. وقال أيضـاً: ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه:٦٦]، وهذا النوع شائع الآن في العالم.

٢. ما يقع بالرقى والنفث في العقد وتصوير صورة المسحور والتأثير فيه بأمور يسمعونها من تلاوة وقراءة وكتابة ورسوم يتوصلون به إلى الأذى، قال تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ [الفَلَق:٤] . والنفاثات السواحر، وهذه الرقى والعزائم قد تكون مشتملة على أسماء الله الحسنى أو أسماء ملائكته الكرام وقد تكون مشتملة على أيمان وأقسام عظيمة تلجيء الأرواح إلى الطاعة وتنفيذ ما يطلبون منها، وقد تكون معلومة وقد تكون غير معلومة المعنى بل هي ألفاظ مجهولة وكأنها كلمات سريانية كأنها أسماء الجان أو الأرواح الخفية الغير معلومة.

٣. ما يقع عن الطلسمات والخواتم التي تكتب بطريقة خاصة مغايرة للكلمات العربية أو أحرف عربية مقطعة لا صلة بينها موضوعة بطريقة خاصة وحقيقتها نفس أسماء خاصة لها تعلق بالأفلاك والأوقات التي ترجع إلى مناسبات الأعداد وجعلها على شكل مخصوص.

ثالثاً :حقيقة السحر.

اختلف العلماء في السحر هل هو حقيقة أو هو تخييل لا حقيقة له، والصحيح أن السحر حق وله حقيقة مؤثرة ويدل على ذلك ما يأتي:

أ - الأدلة من الكتاب منها ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ

إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٠٢].

وجه الاستدلال: الآية تدل على أن للسحر حقيقة من وجوه:

الأول: أن الله سبحانه وتعالى قد أخبر فيها عن السحر وأنه مما يعلم ويتعلم وأن متعلمه يكفر بذلك وهذه الصفات لا تكون إلا لماله حقيقة، مما يدل على أن له حقيقة.

الثاني: أن الله تعالى قد أخبر في هذه الآية بأن للسحر آثاراً محسوسة كالتفريق بين المرء وزوجه والأثر دليل على وجود المؤثر وأن له حقيقة.

الثالث: كما أخبر الله تعالى في هذه الآية بأن للسحر ضرراً لا يتحقق إلا بإذنه، والاستثناء دليل على حصول الآثار بسببه والضرر أو الأثر لا يكون إلا مماله حقيقة.

٢- قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [سورة الفَلَق].

وجه الاستدلال: أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ في هذه السورة بالاستعاذة من شر النفاثات في العقد وهن السواحر كما فسرها جمهور المفسرين مما يدل على أن للسحر حقيقة وأثرا إضافة إلى ذلك أن هذه السورة وسورة الناس باتفاق جمهور المفسرين سبب نزولهما سحر لبيد بن الأعصم اليهودي لرسول الله ﷺ ولو لم يكن له حقيقة وأثر لما أنزلت هاتان السورتان لإبطال أثره.

ب - الأدلة من السنة، وهي كثيرة منها ما يلي:

١- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: "سَحَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ، يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهُوَ عِنْدِي، لَكِنَّهُ دَعَا وَدَعَا، ثُمَّ قَالَ: "يَا عَائِشَةُ،أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ، أَتَانِي رَجُلَانِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ فَقَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، وَجُفِّ طَلْعِ نَخْلَةٍ ذَكَرٍ. قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ "فَأَتَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَ فَقَالَ: "يَا عَائِشَةُ، كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، أَوْ كَأَنَّ رُءُوسَ نَخْلِهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ" قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ: أَفَلَا اسْتَخْرَجْتَهُ؟ قَالَ: "قَدْ عَافَانِي اللهُ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ فِيهِ شَرًّا" فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ"[١].

وجه الاستدلال: الحديث كما نرى يروي واقعة سحره عليه الصلاة والسلام ابتداءً من تغير عادته ﷺ حتى إنه يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله وانتهاءً بقراءة المعوذتين وحل العقد ونزع الإبر وما بين ذلك من دعائه ﷺ ثم نزول الملكين ونقاشهما فيما حصل له ﷺ ثم ذهابه إلى البئر في جماعة من أصحابه وإخبار عائشة فيما حصل. وطلبها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا استخراجه، قوله ﷺ "إن الله شفاني" كل هذا لا يكون إلا فيما له حقيقة وأثر بيّن.

٢- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: "الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي

---

(١) رواه البخاري في كتاب الطب باب السحر (٥٧٦٣)، ومسلم في كتاب السلام باب السحر (٢١٨٩).

حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ"[١].

وجه الاستدلال: أن الرسول ﷺ أمرنا باجتناب السبع الموبقات وعد منها السحر بل جعله في المرتبة الثانية بعد الشرك بالله. مما يدل على أن له حقيقة.

٣- قول الرسول ﷺ: "مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً، لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سُمٌّ، وَلَا سِحْرٌ"[٢]. وجه الاستدلال: أن الرسول ﷺ أرشدنا إلى ما فيه وقاية من السحر ولا يتوقى إلا شيء له حقيقة وأثر بين، كما أنه قارنه بالسم والسم متفق بأن له حقيقة وأثراً فكذلك إذاً السحر.

ج - الدليل من الواقع:

فإن الواقع المشاهد وما اشتهر بين الناس من عقد الرجل عن امرأته حين يتزوجها فلا يقدر على إتيانها. وحل عقده فيقدر عليها بعد عجز عنها حتى صار متواتراً لا يمكن جحده[٣]. قال النووي : "والصحيح أن له حقيقة وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلماء ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة"[٤].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الوصايا. باب قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً} برقم (٢٦١٥)، ومسلم في الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها رقم (٨٩).

(٢) رواه البخاري في كتاب الطب باب الدواء بالعجوة للسحر برقم (٥٧٦٩)، ومسلم في كتب الأشربة باب فضل تمر المدينة (٢٠٤٧).

(٣) انظر : كتاب حقيقة السحر وحكمه في الكتاب والسنة : د عواد بن عبد الله المعتق ص (١٥٠ - ١٥٦).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠/ ٢٢٢).

رابعـًا :حكم الشرع في السحر والساحر، وعقوبته.

أ- حكم الشرع في الساحر:

جاء الإسلام ليحفظ للناس دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم وعقولهم، وجعل هذه الضرورات الخمس قواعد الخلق في رعاية مصالحهم ودفع مضارهم، فحرّم كل اعتداء عليها، فحرم الكفر والردة لإخلالها بأصل الدين، وحرم قتل النفس بغير حق، وحرّم الاعتداء على الأموال والأعراض والأنساب، وحرّم الاعتداء على العقول بكافة أنواع المسكرات الحسية والمعنوية .

والسحر لم يأت على قاعدة من هذه القواعد إلا وأفسدها، فالسحر والكفر قلما يفترقان، والسحر سبيل لتبذير المال وتضييعه، وهو مفسد للذرية بتفريق رباط الأسرة، وهو مدخل للزنا والاعتداء على الأعراض؛ وهو كذلك سبيل لاغتيال العقول وطمسها، فلا غرو حينئذ أن يقف الإسلام من السحر وأهله موقفا صارمـًا فقد حرم تعلمه وتعليمه، وأوجب كف الساحر عن سحره، وإقامة الحد عليه تطهيرا للمجتمع من شره ودجله، وحرم على الناس الذهاب إلى السحرة والاستعانة بهم وقد اتفق العلماء على أن تعلم السحر وتعليمه وممارسته حرام، قال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فإن تعلُم السحر وتعليمه حرام لا نعلم فيه خلافـًا بين أهل العلم"[1].

وقال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأما تعلمه - أي السحر - وتعليمه فحرام"[2].

ورغم اتفاقهم على حرمة تعلم السحر وتعليمه وممارسته إلا أنهم اختلفوا في تكفير فاعله، فذهب جمهور العلماء ومنهم مالك وأبو حنيفة وأصحاب أحمد

---

(١) المغني لابن قدامة (٩/ ٢٩).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٤/ ١٧٦).

وغيرهم إلى تكفيره. واستدلوا على كفره بقوله تعالى ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ..﴾ [البقرة:١٠٢].

قال الحافظ في الفتح: "فإن ظاهرها أنهم كفروا بذلك، ولا يكفر بتعليم الشيء إلا وذلك الشيء كفر، وكذا قوله في الآية على لسان الملكين: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ..﴾ [البقرة:١٠٢]، فإن فيه إشارة إلى أن تعلم السحر كفر فيكون العمل به كفرا وهذا كله واضح"[١]. وذهب الشافعي إلى التفصيل، فإن كان في عمل الساحر ما يوجب الكفر، كفر بذلك، وإلا لم يكفر.

ب - عقوبة الساحر:

اختلف أهل العلم في عقوبة الساحر، والأظهر عندي أن الساحر إن كان سحره كفرا؛ فإنه يقتل ردة، إلا أن يتوب على القول بقبول توبته، وهو الصحيح، وإن كان سحره دون الكفر؛ فإنه يقتل قتل الصائل ;أي: قتل لدفع أذاه وفساده في الأرض، وعلى هذا يرجع في قتله إلى اجتهاد الإمام، وظاهر النصوص التي وردت أنه يقتل بكل حال[٢].

خامسًا: بعض صور السحر المعاصرة، والتمييز بينها.

١ - **العقد**: وهي على أنواع منها ما يكون حبالاً أو شعرا معقودا أو خيوطا رفيعة معقودة كخيوط مكرات الخياطة ،والعقد قد تكون ثلاث عقد أو سبعا أو إحدى عشرة عقدة.

٢- **التمائم**: وهي عبارة عن أوراق أو قماش أو قطعة من جلد أو قطعة من معدن كتب عليها بعض الطلاسم والرموز والحروف المقطعة والأرقام والمربعات والدوائر والكلمات الغير معروفة والاستغاثات الشركية

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠/ ٢٢٥).

(٢) انظر: لقول المفيد على كتاب التوحيد، لشيخنا محمد بن صالح بن محمد العثيمين (١/ ٤٩٠).

بالشياطين وشيء من القرآن فتلف بقطعة من جلد أو تحفظ في قطعة من معدن أو تخاط في قطعة من قماش أو يلف عليها بلاصق بلاستكي.

٣ - **السحر المأكول والمشروب**: هو سحر ينفثه الساحر في ماء أو يكتب طلسمه بمادة وتذاب هذه المادة في ماء ويوضع للمراد سحره في طعامه أو شرابه والغالب في هذا السحر أنه يكتب بالزعفران فيكون لونه أحمر أو أصفر ويوضع في عصير مثلاً له نفس اللون.

٤ - **السحر المرشوش**: وهو سحر عن طريق المواد السائلة وأكثر ما يفعله السحرة هو كتابة التوكيل بالسحر بالزعفران ثم محيه بالماء ويأمر الحاسد بسكبه على ممرات المقصود بالسحر، أو في مكان سكنه ، وأغلب سكب هذا النوع من السحر تكون :

١ - على عتبه باب الشارع.

٢ - أركان المنزل العلوية والسفلية.

٣ - أعتاب الغرف في المنزل.

٤ - ممرات المقصود إلى سيارته.

٥ - باب الشقة في عمارة سكنية.

سادسًا : طرق الوقاية من السحر.

خير علاج للسّحر أن يتقيه المرء قبل وقوعه إذ الوقاية خير من العلاج، والساحر إنسان ضالّ يحبّ الشّرّ والإفساد، وهو يستعين على أغراضه الفاسدة بالشيطان، وقد بين القرآن كيف يحصن المسلم نفسه من الشيطان وأعوانه وأتباعه ومن ذلك:

١- تجريد التّوحيد لله والتّرحل بالفكر في الأسباب إلى المسبّب وأنّ كلّ ما حوله بيد الله وأن لن يضرّه شيء ولا ينفعه إلاّ بإذن الله قال تعالى ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٠٢].

٢- الاستعاذة بالله من الشّيطان قال تعالى ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون:٩٧،٩٨].

٣- تقوى الله وحفظه عند أمره ونهيه قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق:٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران:١٢٠].

٤- التّوكل على الله والاعتماد عليه وهو من أقوى الأسباب في دفع كل الشرور عن العبد فمن يتوكل على الله فهو حسبه وكافيه قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ..﴾ [الطلاق:٣].

٥- المحافظة على الأذكار اليومية من أذكار الصباح والمساء والنوم ونحوها، والتهليل مئة مرة في اليوم، وقراءة آخر آيتين من سورة البقرة، وآية الكرسي وغيرها من التحصينات الواردة في الكتاب والسنة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الفهرس


تم بحمد الله

"من عبد الله تعالى وحده، وآمن بأنه المستحق وحده للعبادة، دل ذلك على أنه مؤمن بربوبيته وبأسمائه وصفاته، لأنه لم يفعل ذلك إلا لأنه يعتقد بأن الله تعالى وحده هو المتفضل عليه وعلى جميع عباده بالخلق والرزق والتدبير وغير ذلك من خصائص الربوبية، وأنه تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العُلا، التي تدل على أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له."

أ.د. عبدالله بن محمد بن أحمد الطيار



دار إيلاف الدولية
للنشر والتوزيع


(+965) 96 999 182 elafbooks@gmail.com



elafbooks @dar_elaf dar elaf

ISBN

9786030338481